سلسة

كلـيـمـة في كتاب

للشيخ:

أبي قتادة عمر بن محمود

الجزء الأول 50 مقالة

سلسلة مقالات

(كليمة في كتاب)

للشيخ:

أبي قتادة الفلسطيني

عمر بن محمود أبو عمر

– حفظه الله –

(الجزء الأول – ٥٠ مقالة)

كليمة في كتاب (١):

استعادة النص الأصلي للإنجيل

سامي عامري

[١٤ نوفمبر ٢٠١٧ — ٢٥ صفر ١٤٣٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

حرضني صاحب إلقاء خفي مسدد للخير دوماً أن أطلع على كتب جديدة، تاركها الراقم لأسباب مكتومة في النفس، وهذا المسدد بالخير بإذن الله لا يكتفي بالتحريض بل يتكلف ما يكلف به من حب تحصيل هذه الكتب لهذا الراقم، فتصله هدايا هي العسل المصفى، فجزاه الله خير الجزاء، ورفع درجته في الصالحين.

كان مما جاء واستقر به النوى والتطواف كتاب الدكتور سامي عامري، الذي تكلم عنه الناس شغفاً بعنوانه المثير! (استعادة النص الأصلي للإنجيل) وعلى الرغم من تنبيه من قرأه وتحدث عنه أنه أراد به بيان استحالة هذه الاستعادة، إلا أن شوق البعض لحسم هذا المعنى بنفسه يدفعه لاكتشاف هذا بنفسه.

هذا الكتاب فيه فضيلة إخراج الباحث العربي من قضية هي من أركان مناظراته وهي: هل الإنجيل محرف!؟

الدكتور يكشف لهذا العربي المشغول بهذا السؤال أنه مشغول بإقناع متعصبين ملفقين من نصارى العرب، ذلك بأن إجماع النصارى الغربيين يكاد يتطابق على إقرار هذه الدعوى، والذي يفعله نصارى العرب هو تهويش ودس للرؤوس في غياهب التجهيل، فالذين يتحدثون عن نصوصه من مصادرها الأصلية اليونانية هم على اتفاق أن هذا الإنجيل محرف، فلمَ إضاعة الوقت في خلاف مزعوم؟.

نصارى العرب هم خارج البحث، لأنهم يتعصبون وفقط، بلا وعي لحقيقة ما يقولونه، وأما المسلم فهو من كلف نفسه بإثبات هذه الدعوى من مصادرها عن طريق العرض بين هذه الأناجيل المتعددة.

الدكتور سامي عامري بسبب مكان وجوده، وحواره مع نوع آخر من النصارى تجاوز هذا الخبط، بل زعم أنه بحث غير مجدي، وهذا حكم له ولبيئته، ولو كان هنا لعلم أن هذا من القضايا المهمة في الحوار بين المسلمين والنصارى.

إذاً الكتاب هو محاولة إثبات استحالة استعادة النص للإنجيل، راداً فيه على أغاليط الباحثين النصارى، والذين سماهم بالدفاعيين (والكلمة في أصلها تعني الاعتذاريين، وهو الأليق بها) الذين جعلوا همهم تزوير عقل القارئ بكثرة النصوص والأوراق التي وصلتهم حاملة لنص الإنجيل.

هذا باب جديد على العقل العربي المسلم، وقد يعرفه نصارى العرب ولكنهم جزماً يكتمونه.

لكن ما أثاره طريقة النصارى في تكثير الورق والمراجع لإثبات الحقيقة الموهومة عندي هو مشابهة ما يفعلونه بما يفعله الشيعة الروافض عندنا، فلا يهمهم حين يثبتون نصاً سنياً يدورون حوله مخاتلة بالباطل إلا بأن يكثروا تسمية الكتب التي تذكره، موهمين القارئ أن هذه الكثرة من الكتب تعني صواب نسبته لأهل السنة، حتى لو كانت الكتب الذاكرة له كتب الموضوعات والواهيات .

هذا عين ما مارسه الدارسون النصارى لمخطوطات الإنجيل لإثبات إمكانية استعادة النص الأصلي للإنجيل، وقد بذل الدكتور سامي جهداً موفقاً في كشف هذا التزوير المتعمد من هؤلاء الدفاعيين (الاعتذاريين)

ما ألقاه هذا الكتاب على ذهني غير ما تقدم هو ذكر رحمة الله على هذه الأمة بعلم هو من خصائصها وهو علم الحديث، والذي هو علم يقوم على إثبات صحة النص، فغياب هذا العلم عن الأمم السابقة هو ما يجعل لكل صاحب الدعوى المرور من ثنايا الخلط لإثبات دعواه، وحين يأتي الرد، فإن من ردّ يضطر إلى كبير رحلة ليقيم قواعد الرد ليصل بعد ذلك للتنزيل والإثبات.

مقدمة الأستاذ فيصل عازر رحلة عظيمة تمتعك مع صغرها في دهاليز الحياة والبحث عن الحقيقة، فلقد كان ذكرها أي المقدمة موفقاً لأنها تبعث فيك إرادة الرحلة والتشوف لها بقوة وشغف، فجزاه الله خيراً.

كم أتمنى أن يهدى هذا الكتاب لكل باحث نصراني مهتم بهذه القضية، فإني على ثقة بأن الكثيرين منهم ستصدمهم معالمه، مع يقيني بوجود آخرين أغلقت عقولهم وانتهى بهم الأمر إلى مقالة صارت هي الغالبة على ألسنتهم بعد رحلة مناقشة بينك وبينهم: ما يهمنا كليات ما يقوله الكتاب، وليس ألفاظه وما اختلفت فيه نسخه ورواياته!!

هذه الكلمة قالها لي قس غاضباً أن الحوار أتعبه وقسم ظهره، فقلت له: إن كنت مرتاحاً بهذا القول، فإني على ثقة أنك تشعر بتعبي أن علمني القرآن أن مجرد خطأ فيه يفقده قدسيته التي هي أساس الثقة في أنه كلمة الله.

جزى الله الدكتور سامي عامري خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٢):

البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة

خالد بن عبد المحسن التويجري

[١٨ نوفمبر ٢٠١٧ — ٢٩ صفر ١٤٣٩]

في رسالة لنيل درجة الدكتوراه قدم خالد بن عبد المحسن التويجري كتابه: البرقعي وجهوده في الرد على الرافضة، معرفاً بجهود هذا الرجل العجيب كما يراه الدكتور عبد الرحيم ملا زاده البلوشي من موقع علاقته وقربه به وصلته الشخصية الطويلة معه.

هذا الكتاب لا يحتاج لتقديم أكثر مما هو عليه عنوانه، فشكر الله للباحث صنيعه فيه.

لكن...

ألم يكن للدكتور عبد الرحيم (أبي المنتصر) حفظه الله حق من هذا الباحث أن يشير له ولو بكلمة تنويه، وأنه الرجل الأول في تعريف أهل السنة بهذا الرجل العجيب!

لقد كانت يد الدكتور أبي المنتصر وجهوده هي البداية لفتح عيون أهل السنة لمعرفة هذا الركن في هدم التشيع الرافضي من قبل مرجع كبير من مراجعهم، ولولا ما قام به الدكتور من عمل دؤوب لترجمة كتابه كسر الصنم، ثم سعيه الشديد لنشره وطباعته على حسابه من هنا وهناك مع ضيق ذات اليد يومها لما عرف الناس هذا الكتاب العظيم.

ولقد كان الشيخ الدكتور أبو المنتصر يقوم بشيء من الحنان والحب برعاية هذا الرجل في كبره، يصله بما يقدر، ذلك بأن البرقعي كان يعيش في آخر أيامه ألماً لا يعلمه إلا الله، لكن هذا هو شأن العلماء، يعيش الناس على علومهم وهم يتضورون جوعاً وألماً وفاقة، فهكذا قيل في أسياد أهل العلم كالخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله وأجزل مثوبته.

الدكتور أبو المنتصر يستحق أن يشاد به، وأن يعرف له فضله في كشف وتعريف الناس وخاصة أهل السنة بهذا الرجل الذي ضرب عليه ستار الإقصاء والتجهيل بل ومحاولة القتل مع السجن.

هل كتب على أهل السنة المعاصرين هذا الفصل الغريب من قتل الحقوق وطمس الجهود والعماء عن الفضائل.

أنا أفهم أن تقوم بعض دور النشر بنشر كتاب كسر الصنم بعد إزالة مقدمتي منه!! بل وسرقته مع أن طباعته تكلفها كلها الدكتور من هنا وهناك، لكن ليس من حق أحد أن يطمس جهود الدكتور البلوشي في هذا الباب، ولا هو من الدين، ولا أمانة العلم.

مبروك عليك الدكتوراه على حساب البرقعي الذي عاش فقيرا لا يجد ما يسد به رمقه، لكن ليس من أمانة العلم أن لا تذكر للناس وسيط العلم بينك وبين البرقعي، أقصد الدكتور أبا المنتصر البلوشي.

هل الكتب حالها كحال الثورات: يقوم بها المتحمسون، ويموت فيها الشجعان، ويأكل ثمراتها الوصوليون!

جزى الله الدكتور أبا المنتصر خير الجزاء، ولولا الآخرة لفلقت قلوب من كثرة الإنكار والتجاهل.

كليمة في كتاب (٣):

مذكرات قارئ

محمد حامد الأحمري

[٢٦ نوفمبر ٢٠١٧ – ٨ ربيع الأول ١٤٣٩]

الكلام في الكلام شاقّ، لأنه حفر في أعماق النفس الكاتبة .

والقراءة عن القراءة كشف لسرّ الخفاء الذي يستبطنه الخليل لخليله.

كتاب الدكتور الأحمري: مذكرات قارئ، قراءتي فيه متهمة، فأنا قارئ، يكتب عن قارئ، وهو كاتب عن القراءة وقد خضت هذه الغمار، فشبهة التنافس حاضرة، ولولا متابعتي لقولهم: ترك العمل مخافة الرياء هو الرياء لما كتبت عنه، ولتركت الناس يكتبون وينقدون فيقطعون ويصلون، ولكن ماذا أصنع ولي صديق يؤز لما يهلكني من الكتابة، فهو بمكره أرسل لي كتاب الدكتور، ووقف يبتسم ليرى ماذا أفعل، وأنا صاحب حماس في هذا الباب، ينتظر فقط سحجة كف واحدة لينطلق!

مذكرات قارئ: هذا كتاب كشف لي عن قارئٍ نَهِم، طوّاف يلتقط عصارات النفوس أكثر من عقولها، ويحكم على الأساليب في كتابه أكثر من موضوعاتها، وهذا شيء أحبه، وأبتهج به ويطربني، فأنا لست معنيّاً في الفكر أكثر من عنايتي بذات النفوس المفكرة كيف هي، وخاصة في باب عظيم هو باب الرّقي في مجال عبوديتها لربّ العالمين.

هذا الكتاب كشف لي أن الدكتور الأحمري يقرأ كثيراً، وهو صاحب حب وشغف لذات القراءة أكثر من المقروء، فهو ليس صاحب علم خاص يعنيه ويشغله ويسهره، بل هو صاحب طلعة للكلمة حيث كانت وفيما كانت، وهذا شيء أعدّه من نواقص الشخص وضعفه، والناس في ما يعشقون مذاهب.

لا أحد يرضى غمط صاحب الكتاب أنه كشف عن نفسه أكثر مما كشف عن سر القراءة، فهي مذكرات له، لا لفن القراءة، ولا لعلم القراءة، ولا لمَلَكة القراءة، هذا حين يتم الترجيح، وإن كان من الإنصاف أنه هذا المقصد استبطن شيئاً آخر هو علم القراءة وفنونها.

من حق القارئ عليّ أن يعلم أن ما سأقوله هنا الآن ربما أرجع عنه غداً، وإنما أتكلم عن نفسي بعد القراءة الأولى المستكشفة للكتاب، ومن عانى هذا الفعل علم أن هذا ليس بمستقر أبداً، بل هو عرضة للتغيير.

هل وجد هذا المستعجل القارئ لكتاب الأحمري كلمة واحدة لصاحبه تستحق أن تفرد كحكمة في علم القراءة وفنونها وأفنانها !؟

أحتاجُ لشجاعة كبيرة لأقول ما في نفسي لأني متّهم، ولكن ليس الدكتور الأحمري بضابط أمن يترصدني ليؤذيني: الجواب حقاً ليس مما يحبه الدكتور الأحمري، فبعد قراءة أكثر من نصف الكتاب، وبعد أن توجهت للدكتور الأحمري وأقواله، أكثر مما ينقله، وجدت أني خالي الوفاض من حكمة الكاتب المؤلف.

هناك أخبار له ليست من المفاريد التي تحمل على جهة الغنيمة والفرح، بل هي عادية مطروحة في زقاق الحياة العادية التي لا تستحق الجهد لالتقاطها.

كل الذي تقدّم صراع على حافة أصل القضايا في موضوع يكتبه مسلم عن هذا الأمر الخطير، موضوع القراءة، وهو صناعة القراءة التي تحقق التعبد، وتحقق القرب من الله.

المسلم اليوم يعيش امتحانات عدة، من أهمها وأعظمها صناعة الفكر المخبت العابد، والذي يستطيع من خلال تجواله المتسع كاتساع قراءة الدكتور الأحمري بفرادتها أن يقيم لي قاعدة أرتكز عليها، ويرتكز عليها كل قارئ مسلم ليحقق من كل حرف يقرأه قُرباً من الله تعالى، ويقوم بهذه القراءة عبادة نسكية تحقق له مزيد الصلة بربه وبكتابه وبكلماته الحسنى.

كتاب الدكتور يحصل لي نتيجة مروعة، وهو رحلة رجل يقرأ ويتمتع، ويمرض، ويضيع وقته، ويتريض، ويعاشر الموتى، ويفضح الكتاب والقارئين، ووو، ثم فقط.

لقد حاول الدكتور أن يخرج من عباءة المتعبد بقراءته، وأخاف أن أظلمه فأقول: لقد حاول هذا ونجح، ولو أردت مداراته لقلت: نسي.

أنا لا أطلب منه أن يكذبني، فيقول : ذهبت للقراءة عابداً متنسكاً، فهذه لم يقلْها الإمام أحمد، ولكنه قطعاً انتهى إليها، وذلك حين قيل له: هل طلبت الحديث لله؟

قال: هذا عزيز.

كان باستطاعة الدكتور أن يقيم لنا نسكاً عظيماً غاب عن الكثيرين، وهو نسك القراءة، وهي من أعظم النسك، لأنها هي التفكر في نهاية النفق، كما قالت أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما: لقد كانت أعظم عباداته التفكر.

لقد كانت رحلة جميلة مع ذكريات قارئ نَهِم طلعة كما قال عن نفسه، وقد صدق، لكنها نهاية لو قيل عنها بلا غنيمة في بنك الحياة مع الله لما أبعد.

لست واعظاً للدكتور، ولست متعاليا عليه، لكن من حق أخوة الإسلام، وصدق الحب الواحد المتحد مع القراءة أن أقول له هذه الكلمات، وعسى أن تقع موقع المحب الصادق الناصح.

شكراً دكتور الأحمري.

كليمة في كتاب (٤):

الانتصار للتدمرية

ماهر أمير عبد الكريم

[١٣ ديسمبر ٢٠١٧ — ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٩]

ليس حسناً أن يستطيل الحضور على الغائبين، عملا بقاعدة البعض: خلا لك الجو فبيضي واصفري، ذلك لأنها سمة من لم يخبر العلم، فهذه وإن صحت في منازعات المال وشؤون الدنيا فإنها في العلم لا تكون أبداً، ذلك لأن العلم وراثة أهله، يحمونه حماية الحب والرعاية، وهذا بعد طلبه والسهر عليه، فمن خانه أو غلط فيه أقام الله له من يقومه وينبهه ويهديه، فلا يستقر باطل في الأرض بلا منازعة حق له، ولا يكون الجهل بلا علم يكشفه، وحين يخلو الباطل واحداً بلا منازع من الحق تؤذن الحياة بانصرام.

الشيخ الإمام ابن تيمية ليس في تاريخ العلم بحدث عادي، بل هو قنطرة كبيرة ضخمة، استطاع بعقل مهدي أن يثير الحق من خلال أدوات البشر التي يصطلحون عليها، فالثنائية في قضايا العلم وبنائه تحتاج دوماً لمن يمزج بينهما بعقل خاص يملكه، كما فعل ناصر السنة الإمام الشافعي رحمه الله حين نازل بالنص بلغة أهل الرأي أهل الرأي، ذاباً عن النص دعوى عدم مناسبته للقياس كما يقول البعض، وبهذا حصل له الظهور والقبول، وكان على هذا المعنى من أقوى أهل الجدل الفقهي في تاريخ أمتنا.

هكذا هي الحياة تمضي في دروب متوازية، وهما في الخلق شيء واحد، كثنائية العقل والنقل، هذا يرمي خصمه بالجمود والتحجر والبلادة، وخصمه يرميه بالتحلل واتباع الهوى، وكل له لغته، حتى يأتيهم صارخ خريت أن السبيل واحد، ولكن بعزل الزوائد الضارة عن كل سبيل، فالنقل فيه زوائد النكارة والغلط، والرأي فيه مقررات الغلط والباطل، فحين تصفو صراحة العقل الفطري مع صحة النص المهدي تكون الشرعة واحدة.

هذا ما قام به شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو جامع للفروع والنصوص، ثم يذهب بها إلى حوار العقل ليصنع منها بلغة الزاعم للعقل والذكاء سلاحاً يهدم به أبنية الغلط عندهم.

هذه قنطرة لا يمكن تجاوزها بحجة أنه مسبوق بهذه الكلمة أو تلك، دفعاً لتهمة البدعة عنه، وذلك كما يقول البعض، فالشيخ وإن كانت كل كلماته الأصيلة قد قالها سلف له، وهذه منقبة لا تهمة، إلا أن صياغة الحق بلغة الخطاب، وهضم الحق ليخرج خلقاً جديداً في ساحة صوّحت من لغة الأثر زعماً أنهم أهل العقل والنظر تلك والله مهمة العظماء، وكان الشيخ رجلها المؤخر لها فضلاً وكرامة، وكم ترك الأول للآخر!.

مضت معارك الشيخ في زمانه مع أساطين الصنعة الكلامية، فظهر عليهم وبرز، فطاحت أمامه رؤوس، وخضعت لمعرفته الأكابر، وشهد له الجميع أنه فارس لا يسبق، وعلم يبز كل علم.

بعض محبيه تمنى أن الشيخ بقي على طريقة السالفين في الخطاب، لا ندري ما السبب في هذا، ولكن الذي أعلمه أن البعض يحب الصفاء لنفسه، ويشعر بكدرة القلب التي أصابت الشيخ الإمام النووي وهو يطالع كتاب القانون الطبي، ومثل هؤلاء العظماء يعيشون في كنف العزلة في هذا الباب، والشيخ ابن تيمية لم يرد هذا الطريق، فقد أحب أن يعيش ذوق الإيمان من خلال الخلطة والصراع، اطمئناناً بما معه من أسلحة كافية في العلم أن يخرج منتصراً، فليس هو نصف طبيب ولا نصف متكلم ولا نصف فيلسوف حتى يدخل في أجواف هؤلاء فيهضمونه في داخلهم.

كل هذا أقوله شفقة على من يريد إسقاط الشيخ في زمن متأخر عنه، ولو قابله لكان من عداد الصرعى، مع أنهم كبار وفوق الكبار كذلك.

لا أدري لم يظن البعض أن غلبة الشيخ على معاصريه كان بسبب ضعف هؤلاء المعاصرين له، فيأتي لكتب شيخ الإسلام ليحملها باطلاً من القول وزوراً، وكأنه يصرخ: وجدت فيها ما لم يعرفه معاصروه.

هذا ليس قطعاً لمناظرة الغائب، أو لرد غلط عالم سبق له القدوم على ربه، ولكن هذا التعالي الذي يمارسه المعاصرون على الأقدمين زعماً أن خصومه في زمانه لم يقوموا بالواجب جهل بعقل المتناظرين يومها.

كان مما كتبه في تقرير قواعد السلف في باب الأسماء والصفات والقدر رسالة التدمرية، وهي من غرر كتب الشيخ في هذا الباب، فقام أحدهم ممتطياً حماره، لابساً لأمته المهلهلة ضعفاً وجعل يطعن في هذا الجبل، والرجل متمرس باتخاذ أرجل الخشب، وظن أن خلا الميدان من رجاله.

هكذا هي الصورة، فكان كتابه في نقض التدمرية.

الكثيرون مروا عليه فأعرضوا عنه، ولكل سببه، والبعض مر عليه حاملاً إياه فرحاً، لم ينتبه أن بين الثنايا أفاعي وعقارب، وكان هناك من أراد به معركة فيها الإنصاف ولغة المناظرة العلمية، والذهاب مع الكاتب حيث يريد من وديان الأثر والنظر، مع معرفة رأيتها بارزة في الكتاب أن الراد المناظر يعرف صاحب النقض، متابعاً له، يسلك معه مسالك التنقيب والمسايرة، وبهذا زادت قيمة الكتاب: الانتصار للتدمرية، للأستاذ ماهر أمير عبد الكريم.

في بداية نظري فيه أعجبتني لغته، وقلت: صاغ قديما بلغة جميلة، وقلت هذا لمحدث لي حول الكتاب بعد النظر الأولي فيه، ثم بعد أن خلوت معه رأيت رجلاً يفهم ما يقول، ويغوص داخل هذا العلم الذي كتب فيه.

نعم، كان انتصاراً مباركاً لكتاب يستحق الانتصار، وبهذا زادت كتب العلم في هذا العلم كتابا رائعا مفيدا، به دخل شاب زمرة أهل العلم في هذا الفن، يكتنفه خوف أهل الشيب على الشباب في هذا الباب، ذلك لأن طريق العلم فيه مزالق كثيرة، يسقط فيها الكثير من أهل هذا الزمن.

كليمة في كتاب (٥):

البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

[١٩ ديسمبر ٢٠١٧ – ١ ربيع الآخر ١٤٣٩]

أول من كتب في ظاهرة التفسير السياسي للإسلام فيما أعلم هو وحيد الدين خان، وهو رجل خرج من عباءة الجماعة الإسلامية الهندية مغرداً بعيداً عن أفكار الأستاذ المودودي، وهو وإن كان قد قبض على بعض الظواهر السلبية في هذا التفسير إلا أنه اشتط بعيداً في محاربته مكونات الإسلام العظيمة كشأن الخلافة والجهاد والعمل السياسي، وقد صار متماهياً مع بعض معالم العلمانية في قربه من الرئيس الليبي معمر القذافي، ثم واصل ابنه خط الانحراف حتى صار ولياً لدولة الهند ضد تحرير كشمير من نيرها الاستعماري.

الحديث هنا ليس عن ظاهرة وحيد الدين خان وما يؤخذ منه وما يرد، ومن هو في موضوع الجاهلية والبراءة منها، ولكن الحديث عن ظاهرة التفسير السياسي للإسلام، وهي ظاهرة تختلف كلياً عن تيارات الإسلام السياسي.

مثل هذه الحالة تنشأ عند غياب معالم ما للمنهج والشريعة، فحين تغيب الخلافة يصبح الحديث عنها قويا ومهماً، وبدون مراعاة التوازن تتضخم ظاهرة الحديث عن الجانب الإسلام السياسي، حتى إن البعض ليجعل الحاضر داخلاً في هذا الغائب، وكأن الجانب السياسي هو أصل الإسلام وبقية الجوانب الأخرى هي فروع لهذا الجانب، ولعل المودودي وقع في هذا، وللأسف إن مجموعة من الناس تتهم مترجمي الأستاذ المودودي بخيانة أفكاره عندما تنقل إلى العربية.

بعد أن تكلم وحيد الدين خان عن هذه الظاهرة جاء الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي وتكلم عنها في كتاب خاص بها، واستقبله أصحاب وأتباع المودودي بالقسوة والاستهجان، وكان عمدة الرد تقوم على استغلال غياب المودودي بموته، والاستفراد بهذا الغياب وفراغ الساحة من رجل القضية، والحق أن

هذا رد غير صحيح، فالشيخ الندوي أرسل هذا الكتاب للمودودي في حياته واطلع عليه ولم يرد، بل إن كتاب وحيد الدين خان صدر في حياة المودودي وأرسله إليه ولم يزد المودودي رحمه الله إلا أن قال: زاد خصومي واحداً!!

كان المودودي صلباً في أرائه، وتعامل مع خان تعامل الأب مع ابنه الذي لم يره إلا طفلاً صغيراً طوال تقلب الأزمنة عليه، فوحيد الدين خان من صناعة المودودي، وهو عضو لجماعته.

فريد الأنصاري ممن التقط هذه الظاهرة، وهي تضخم الجانب السياسي على الجانب التعبدي، ولم يدرك الظاهرة إدراك خان ولا إدراك الندوي، لكنه تلمس جوانبها، وكل من دخل في سلك التأمل القرآني، وعاني من ظاهرة غياب التدين وأخلاقيات العبادة حزن على ضعف هذا الجانب في العاملين في الحقل السياسي.

هناك ولا شك خلل في البناء العلمي والمعرفي عند العاملين في السياسة وعند العاملين في الإصلاح التربوي، وخاصة التعبدي منه، وكلاهما يتعامل مع القضية باعتبارها ثنائية متنازعة، لا باعتبارها قضية واحدة، فالحكم بما أنزل الله شامل لكل حكم شرعه الله لنا، ولا يمكن أداء فعل ما في الشريعة إلا كونه عبادة لله، تحقق الإخبات والتقوى، ولا يمكن صعود المرء في درجات التعبد دون القرآن والصلاة والذكر والإخبات والتقوى، ولا يمكن تحقق الرقي السياسي وهو عمل من أعمال الدعوة دون أن يكون المرء عابداً متنسكاً بدوام الذكر وقيام الليل وقراءة القرآن.

هذه الصناعة التامة في المزج بين هذين الأمرين بدل عرضهما من قبل وحيد الدين خان والندوي (نوعاً ما) ثم الآن الشيخ فريد الأنصاري؛–بتحفظ وحياء كثنائية متعارضة هو من نحتاج إليه، وهو عمل المصلحين والدعاة بعد هذه الرحلة من الفصام غير المقبول.

يمكن وضع طه عبد الرحمن في هذه الزمرة من التي هي مدار البحث، إذ له بعض الفصول الدالة على دخوله على خط تنمية النسك، ولو بطريقة ما على خط السياسي والتخفيف من غلوائه.

يمكن فهم هؤلاء جميعاً وخاصة حين نرى تغول السياسي على النسكي، وضمور التعبد والخلق مع الله ومع الخلق، وهو حاضر ولا شك، لا على مستوى الأفراد، ولكن على مستوى التنظيم والقيادة، فحيث

ترى تعبداً على وجه شبه مقبول من القواعد ترى غياب هذا وصعفه كلما ارتفعت صعداً في الترتيب القيادي لهذه الجماعات.

ومما هو منتشر في صفوف جماعات العمل السياسي ومن دخل في لجتهم من جهاديين وغيرهم هو تحقير المتعبد على وجه الاتهام له بالغفلة، استدلالاً بقول المحدثين أن الكذب في الحديث يغلب على المتنسكين، لإمكانية دخول الزنادقة عليهم لقلة بصرهم.

هذه لغة نراها في زمزمة المعاصرين، وكأن الرجل الناجح إدارياً وسياسياً وقائداً هو الثعلب، وهو الذكي الذي لا يضيع بعض وقت ليله خلوة وذكر مع الله.

من السهل تخطئة أحد الطرفين فكراً وعلماً، لكنه من الشاق أن نعمي بصرنا عن رؤية الانحياز عند هذا وضده في تقويم الآخر، من خلال الواقع الذي نعيشه، حيث يكون الناسك الذي يخاف قسوة القلب في تقلبه السياسي والصراع مع الحياة، ويكون السياسي الذي لو سألته عن جزئه من القرآن والذي لم يقم به منذ رمضان الفائت!!

عسى أن نبصر غداً ذهاب الفروق من هذه الثنائية.

ورحم الله فريد الأنصاري الذي جعلني أستغل كتابه للكتابة عن هذا الموضوع الشائك.

كليمة في كتاب (٦):

التجربة والخطأ

مذكرات حاييم وايزمان، أول رئيس للكيان اليهودي

[٢٨ ديسمبر ٢٠١٧ – ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٩]

تعجبني كتابة الرياضي والفيزيائي والكيماوي عن الإنسان وتاريخه وفكره، فهو يصيغ عباراته عن طريق المعادلات، وبهذا كان تميز المفكر المسلم مالك بن نبي، لا بتصويب أفكاره ولكن بإبداع عبارته التي صاغها رياضياً حين تحدث عن الحضارة، مع أنها في معناها غير صحيحة ولا صادقة في فهم هذا المصطلح.

العبارة الرياضية فيها زخم المعنى مع سرعة الوصول للهدف، ويبعد صاحبها عن الهوامش وغير العلل المؤثرة، وقد تميز علماء الفقه المالكي بهذا الأمر كون واضعيها أغلبهم قضاة، يهمهم المعنى بأقصر الطرق، فتكون مليئة كثيفة.

هذا الصهيوني اليهودي كيميائي كبير في هذا العلم، صاغ ذكريات حركته صياغة رياضية خالية من الزوائد والهوامش، مع الصراحة التي يفتقدها كتاب الذكريات عن أنفسهم.

انظر إلى هذا العنوان العجيب (التجربة والخطأ)، وتأمل شجاعة كاتبه، مع أنه كان يرى المسيرة التي أختطها لنفسه ببناء دولة لليهود في فلسطين تؤتي أكلها، وتسير لمستقرها.

كان يرى أن العمل الإنساني تجربة، وفيها الخطأ، فيجب صناعة الفعل من خلال هذا الفهم لحركة الإنسان، أنه يعيش تجربة، وعليه أن يستفيد من أخطائه، شأنه شأن الكيميائي الذي يجرب ويجرب حتى يخرج من خلال أخطائه بالمراد والصحيح.

عندنا قاعدة عجيبة: عدم الوصول لا يعني الخطأ لزوماً، والتجربة مع ثبوت عدم نجاعتها يمكن لنا أن نسلكها مائة مرة، ويكفي أن نقول بعد كل مرة: هذا ابتلاء.

(ليس هذا ما أردته أصالة لكن جرتنا إليه الآلام)

الحركة الصهيونية يعجب البعض منا وضعها في سياق أسطوري عجائبي، وذلك من خلال أمرين اثنين، هما أهم ما يمكن استخلاصه من ذكريات هذا الصهيوني العتيد، والذي هو من وقف أمام أمثاله من اليهود الصهاينة عندما أرادوا أن يبعدوا اليهودي عن فلسطين لتكون مستقراً لدولتهم القومية، فردهم إلى توراتهم، وجعلهم يتوجهون إلى أرض الميعاد التي يحلمون بها كما يعتقدون.

هذان الأمران هما: أن الحركة الصهيونية كانت شيئاً سليماً من الآفات التي تعاني منها التجمعات الوليدة من الخلافات وكثرة التصورات، بل والدم الذي يحصل بينهم، وكأن هذه الحركة كانت تمثل كل اليهود، وكل المفكرين من اليهود، وكل القادة من اليهود، وهذا شيء خيالي لا وجود له في الحقيقة، فهي حركة مليئة بالتناقضات، ومليئة بتضاد الأفكار والتوجهات، وبين أصحابها الكثير من الخصومات.

لم يحتج المؤمنون بالفكر الصهيوني إلى إجماع يهودي حتى يسيروا لأهدافهم، ولم يحتج الصهاينة فيما بينهم إلى إجماع على أي قضية بينهم حتى يعملوا لما آمنوا به.

كان يكفي الواحد منهم أن يؤمن مع مجموعة كافية ليسير في خطه، محاولاً تحصيل أكبر قدر من النجاح للوصول إلى الهدف.

ولكن كانت الجماعة هذه تحاول إقناع غيرها بصواب طريقها عن طريق الحوار وفرض الواقع الذي يجلب الآخرين لصفها.

كان الكل يعمل، وكان الكل يجلس إلى الكل، ولم يختلفوا أبداً قبل الوصول إلى الهدف على شكل وصورة هذا الهدف، بل كانت خصوماتهم تدور في تلك المرحلة على وسائل العمل، وعقيدة العمل التي هي إطار الفعل والحاكمة عليه.

حين أقرأ خلافات تلك المرحلة للحركة الصهيونية، وخلاف اليهود ابتداء عليها، ثم الخلافات داخلها أرى كأن كل تجربة بشرية هي ظل متعدد الصور لحقيقة واحدة.

تعلمنا هذه الحقيقة أنها لا تصلح لتعليق ترك العمل عليها، ولا اليأس من النجاح بوجودها معوجة تحتاج لإصلاح دوما بما يعيد توجيه البوصلة لاتجاهها الصحيح.

الأمر الثاني: لا يشك أحد أن اليهودية وحركتها الصهيونية التي جسدت الدين باعتباره قومية قد قامت بالكثير من التعاون واستغلال الآخر للوصول إلى أهدافها، فهي لم تترك مصدر قوة إلا وسعت إليه طالبة العون، وكانت كل الصدور الكافرة مفتوحة لهم وبفرح، بعضها لبعد عقدي، وبعضها لاتجاه تاريخي مصلحي، وهكذا، ولكن لم تكن هذه المصادر من القوة لتنفع لولا الجهود التي بذلها اليهود أنفسهم لتحقيق أحلامهم في فلسطين.

فلسطين لم يستلمها اليهود على طبق من ذهب، قدمها لهم العدو الصليبي، نعم، لولا تلك المساعدة الكبيرة من هؤلاء المجرمين ما كانت لتقوم دولتهم، ولكن لولا أنهم بذلوا وقدموا كل ما يستطيعون من قدرات لما كانت فلسطين لهم.

كانت فلسطين حلمهم، ونشيدهم، ولذلك استغلوا كل معاني القوة في أنفسهم لتحصيل هذا الحلم، وهذا ليس تصويباً لأي طريق سلكوه، لأنهم سلكوا الكثير الباطل والطرق اليهودية الخبيثة، ولكن في النهاية كانت لهم جهود بذلوها لتحصيل مقاصدهم.

هذا اليهودي الذي قدم من روسيا إلى فلسطين، ورمى بنفسه في محيط غريب عنه، قام بدراسته زائراً في لحظة من اللحظات، ولكنه آمن بهذا الحلم، ولم تعوقه كل الحواجز للوصول إلى هدفه حتى اختير أول رئيس لهذه الدولة، ومن تلك المعوقات أن أهل دينه اتهموه بالترفع عن مشاركتهم حياة شظف العيش التي يحيونها مقاتلين.

في تلك المذكرات الكثير من الأسرار، والكثير من خيباتنا وأكاذيبنا، وفيها على معنى بعض المذكرات تجربة إنسان وضيع، وجد في واقعنا من هو أوضع وأسفل منه، ولذلك نجح، وخسرنا، لأنه أصيل من بني قومه، وكان بيننا من هو خائن لبني قومه.

كليمة في كتاب (٧):

اقتل خالداً

بول ماغوو

[٢٩ ديسمبر ٢٠١٧ – ١١ ربيع الآخر ١٤٣٩]

في مرات يكون العنوان مفيداً للكتاب، ناشراً له، حاضاً الناظر للقراءة، ومرات يكون العنوان على الضد من هذا، ومرات يكون العنوان مفسراً لحقيقة الكتاب وما فيه، ومرات لا يكون كذلك، ولذلك ففن صناعة عناوين الكتب أمر مهم، واليوم تقوم دور النشر بهذه المهمة إن تولت هي طباعة ونشر الكتاب، لأن هذه القضية موضوع تسويقي أكثر من كونها علمية.

عندي الكثير من القصص والمعلومات عن الكتاب، وقضية صنع العنوان، وما يعانونه في هذا الباب، وكذلك ما تضغط به دور النشر لعناوين مفروضة، ولو جمعت لكانت جزءاً مستقلاً.

يحضر هذا عند قراءتك للكتاب الرائع اقتلوا خالداً، والذي يتحدث عن محاولة الموساد لقتل خالد مشعل في الأردن، وما جرى فيها من أحداث.

للأسف العنوان خطأ من جهتين: فالكتاب أصلاً بلغة أخرى، والمترجم لا يفقه العربية، فترجمه ترجمة لا تتفق مع النحو العربي، إذ كتب العنوان هكذا: اقتلوا خالد، وهي قبيحة ولا شك.

ثانياً: كان ينبغي اختيار عنوان آخر له يوافق محتوى الكتاب، ويشجع العربي على قراءته، فالكتاب رائع ولا شك، لأنه يتحدث عن أكبر من قضية محاولة اغتيال خالد مشعل، فهو يتحدث عن محنة الفلسطيني في أبعاد كثيرة، محنته في الهجرة، ومحنته مع غربته، ومحنته مع قيادته، ومحنته في استغلال الأيدولوجيات له، فهي محنة التيه والقسوة، وهي محنة إنسانية عميقة، تمثلت في بعض صورها في عائلة خالد مشعل، وفي صور كثيرة مع غيره، فالكاتب وإن انطلق من تلك المحاولة الفاشلة في الاغتيال، لكن انطلق بعيداً ليصور ملحمة الغربة والتيه والقسوة، ولذلك كان ينبغي أن يشجع العربي لقراءته مع عنوان

يوافق هذا كله، ويمكن تفهم هذا العنوان لرجل غربي، يشجعه على القراءة عنوان فاقع فيه الدعوة للقتل، وعن رجل ربما يعرفه وربما مجرد اسم خالد فيه يدفعه لذلك ليكتشف من هو، ولكن الأمر ليس كذلك مع القارئ العربي.

وها أنا أتحدث عن قارئ يتدسس بعيداً عن ألوان الكتب وعناوينها الفاقعة، فقد احتجت لوقت حتى أتشجع فأقرأ هذا الكتاب الضخم، متجاوزاً عنوانه الذي أبعدني كثيراً من النظر إليه، لكن حين أتيت للكتاب رأيت كم هو نافع ورائع وصادق.

فهذا كتاب يتحدث بأمانة دون التفاف حول الحقيقة عن قضية عظيمة، وعن شعب تألم، وعن أسر شردت، فكان اختيارها لما هو معروض ذهناً الضرورة لضيق الواقع وعدم اتساعه.

الفلسطيني الصغير، والعائلة المنفردة لا يمكن أن تفهم وضعها في خطط العالم وتآمر الكبار، ولا يمكن إلا أن ترى مأساتها اليومية دون الذهاب إلى الأيدي القذرة التي تديرها من أجل مصالحها، فهناك الذئاب والتماسيح والوحوش، لا يهمهم إلا أن تسير خططهم المجرمة دون نظر لمأساة عائلة أو شعب أو قتلهم جميعاً.

مع هذه العائلة التي تمثل كل عائلة، وبسياقها وحدها تدرك سياق الجموع، ومن خلال قصتها تعلم كل قصص هذا الشعب، ثم ترى كيف تكون الخيارات الأيدلوجية قدراً معروضاً، به يتم سرقة الهموم لاستغلالها لمصلحة هذه الأيدولوجيات الخبيثة البشرية الوضيعة.

حاول الكاتب أن يصنع من مأساة عائلة، وقصة شعب مواكبة لفعل السياسي والمتآمر، فترى ظلال هذا التآمر وخطواته قابعة فوق ظهر الإنسان المسحوق في هذه الأمة.

في هذا الكتاب القصة الكبيرة، تحوي القصص الصغيرة، فهو يضع الظلال الدولية في خلفية الصورة للإنسان، تنمو مداركه، ويكبر مع همومه ليصبح هو بنفسه قصة كبيرة، لا لشيء إلا إنه قرر أن يوقف حركة خيطان صندوق الظل التي تحركه كدمية مسكينة مقهورة.

عندما حاول هذا الصغير أن يكبر، وأن يقطع حبال أفعالهم المتلعبة بتاريخه ومستقبله قرروا إفناءه.

هكذا هي صورة كتاب: اقتلوا خالداً، فاذهب لقراءته، لا لتعرف سر فعل واحد يمارسه الموساد في بلادنا، ولكن لتعرف سياق الإنسان الصغير حين يقرر مجابهة الكبار، ولتعرف سر ملحمة القهر والغربة والمقاومة.

لست معنياً بأن تحب صاحب الترجمة، ولا أن تكرهه فهذه قضية فوق مدارك هذا الكتاب، بل تحتاج لسياقات معرفية أخرى، وإلى مبادئ علمية زائدة عن قدرة المؤلف لهذا الكتاب، ولكن الكتاب رحلة جميلة لرواية الملحمة.

كليمة في كتاب (٨):

العذر بالجهل أصوله ومسائله

الشيخ أبي البشر توفيق زين الدين الدكالي

[٣ يناير ٢٠١٨ – ١٦ ربيع الآخر ١٤٣٩]

مسائل العلم قد تتفق أصولها عند الناس، ولكن يبقى أمر إنزالها بغير اتفاق، ذلك لأن الكثير منها اعتباري نسبي، والعلم حين يكون كذلك يكون فيه الأعذار، ويحمل الناس خلافهم على ما قدره الله فيهم من معاني خاصة وذاتية، وحين يقع الخلاف وجب رد الفروع إلى الأصول، ورد المتشابه إلى المحكم، حينها تظهر قوة الأقوال وضعفها، أو نسبتها من الضعف أو القوة.

مسألة العذر بالجهل لم يكن لها هذا الحضور في علم الأوائل، لأنهم يجرونها على علم مكين عندهم، ويفتحون للناس سعة التنزيل، ويتركون كثيراً من أعيان الناس لحكم القضاء، وتمضي القلوب على حب واتفاق، ولكن حين يقل العلم ويكثر الجهل تضيق دائرة الإعذار، هذا مع انتشار العلم وغلبة الحق على النفوس، ولو كانت الأمور تجري على وفق قوانين الحساب لكان العكس، فحين يزيد الجهل يزيد الإعذار، وحين يزيد العلم يقل الإعذار، لكن واقع الحال أن الجهل هو من يضيق، والعلم هو من يوسع، وهذا ما نراه في حياة الأوائل والأواخر.

هذه المسألة الفقهية، وأكرر الفقهية، والقضائية شغلت الناس بفعل عامل الجهل، وأدخلها البعض في أركان دينه، على وجه يدل أن صاحبها قد علمها للتو فطار بها يضرب دين الناس وينفيه ويخرجهم من ملة الإسلام، حتى صارت علماً عليه وعلى جماعته، ومن تفكر في هذا الحال علم أن هذا من سمات أهل البدع، فإنهم يحدثون من الأصول ما يحكمون بها على الناس إسلاماً وكفراً، ثم يأتي الأتباع الجهلة فيعملونها قتلاً وسفكاً للدماء.

مسألة العذر بالجهل كتب فيها الناس، وكل واحد منهم أتاها على وجه من وجوه النظر والتنقير، فمضيق وموسع، وذلك بحسب مشربه، والكثير منها بحسب نفسه دون علمه، وهذا ما يوقع الباحث في

الانتقاء لا التقصي، وقد زادت هذه الكتب حتى لو صففتها في رف كتب لملأها، فإذا جمع مع الكتب ما قيل فيها من دروس ومناظرات ومحاضرات حينها ترى كيف يطم الماء على الوادي.

ومما يعجب المرء له أن تتمالأ جماعة على القول بها، وجعلها سمة لهم، لا تذكر إلا ويذكرون، ولا يذكرون إلا وتذكر، وحين ترى قول صاحبهم الأول ترى عجائب الاضطراب والفوضى في عقله، وهي سمة بدعية لا يشك في ذلك طالب علم يستقصي سمات أهل البدع في التاريخ.

هذا الكتاب الذي فيه هذه الكليمة هو خوض علمي في هذه المسألة، يؤصل لها، ويسير فيها على هدي متبع، مراده رد دعاة بدعة إخراج الأمة من الإسلام، وكذلك رد من جعل هذا الإعذار بلا ضابط وسياج يحميه، فكان ميزاناً، وقسطاً فيها، يجمع شتاتها من أصحاب العلم فيها، لا يخرج عنهم وعن أقوالهم بدعوى الإبداع والتقعر.

ما جمعه الشيخ من أقوال، وأقامه على أصول علمية تجعل كتابه ولا شك نافعاً في هذه المسألة، ولو سعى المرء إليه لما خسر، بل سيربح، وخاصة أنه حاول جهده تهذيب هذه المسألة على وجه من التقريب والتسهيل، فأكثر من الأمثلة التي تلزم المخالف، وتشرح للسائل وجهها.

جزى الله الشيخ خير الجزاء على كتابه النافع، ولو قدر للمرء أن يتكلم في هذه المسألة فوق ما تكلم فيها من قبل لكان انتفاعه من هذا الكتاب كثيراً.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٩):

يوميات عدنان أبو عودة

١٩٧٠ -١٩٨٨

[٧ يناير ٢٠١٨ — ٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٩]

هذا كتاب ضخم، عدد صفحاته فوق الألف صفحة، في بدايته حوار صحفي مع السياسي عدنان أبو عودة، ثم تلته اليوميات المتفرقة في تاريخ مسيرته السياسية.

لما سمعت بهذا الكتاب قال لي قائل: إن هذا السياسي هو الصندوق الأسود للسياسة الأردنية خلال هذه الحقبة، ولذلك نشطت للحصول عليه، بعيداً عن تكلف الثمن المرهق له، ولاسم عدنان أبو عودة حضور في ذهني من زمن قديم لأيام خوف وهروب في زمن الأردن الماضي.

هذه اليوميات لوحات سياسية، كل ورقة يوم تمثل رقعة صغيرة لحالة السياسة في داخل البلاد، بعيداً عن المسرح الظاهر، في داخل هذه المجموعات المتفرقة تجد شيئا آخر لا تراه أبداً على شاشات التلفاز ولا على ورقات الصحف، لأنها كشف للمطبخ من الداخل، وكيف تدار القرارات، وكيف تفهم الصور والحكايات.

بالنسبة للرجل العادي تمثل هذه اليوميات حالة اختراق لداخل هذا المصنع، لتعرف أسراره، وتعرف الإنسان في داخله، وقد مضى زمن طويل يظن الإنسان العادي أن رجال السياسة الذين تصدر بهم نشرات الأخبار، ونرى صورهم على صفحات الجرائد هم طينة أخرى في كل شيء، فهم شيء آخر من البشر.

هذه اللوحات تشكل لديك رؤية ذهنية، تكتمل صورتها بأن المطبخ السياسي نوع بشري صريح، بل هو في واقع الأمر نوع غير راقي من البشر كما كنا نظن أمرهم، فهو عالم صراعات، وتحليل يؤمن بأن الشر هو أصل هذه الحياة، وأن الحقيقة فيه تكاد أن تغيب.

هناك مسألة مهمة وقد تقرر أن المكياج هو السائد في عالم السياسة، وأن الخفاء أقوى من الصراحة، وأن المخبوء أكثر من الظاهر، ولهذا يبقى السؤال: كم يخفي السياسي في عالمنا العربي من الحقائق عندما يكتب مذكراته أو يكشف أوراقه اليومية، خاصة عندما يكتب في ظل حاضر محكوم من زمانه الماضي!؟.

أنا أجزم أن هذه اليوميات لم تكشف الكثير، مع أن فيها الكثير، وأجزم أنه ما زال في اليوميات الكثير من الأوراق التي آثر صاحبها السياسي أن لا يعلنها لأسباب كثيرة، فالوثائق عندنا ليست محكومة بالزمن كما الآخرين، بل محكومة ببقاء الماضي وقوته أم ذهابه.

ومع ذلك فهذه اليوميات نافعة لواحد مثلي أو من هو أقدم مني عمراً ليرى بعض الكواليس التي أحاطت ببعض ما عاشه من أحداث يسمع عنها من خلال أدوات السلطة أو من أدوات الإشاعة المضادة، أو من خلال التسريبات التي لا يؤمن على صاحبها بقول الصدق.

لكن هل هي نافعة لرجل وشاب العصر الحديث: أجزم أنه سيمر عليها مسرعاً لأن الواقع الذي يعيشه هو ما يعنيه، ويكفيه من التاريخ أنه يرى أثره على واقعه هزيمة وذلاً وهواناً، فلماذا يذهب لكلام رجال هم صناع هذا الحاضر البئيس؟!.

تحتاج اللوحات لمحاضرات كثيرة تصاحب كل لوحة حتى يستوعبها الإنسان الذي يعيش هذا اليوم، فالرجال المشهورون هنا في هذا الكتاب قد مضوا ولا يكاد يعرف الواحد منهم لا هذه الكمية الزاخرة بذكرهم الصفحات.

هذه اليوميات يمكن للمرء أن يستخلص منها بعض الأسرار، وهي في هذا الباب قليلة جدا، وبمجموعها تعرف عالم الكواليس في الحياة السياسية، وما يجري فيها، وفي الخلاصة تنفع رجلاً عجوزاً في هذا الباب لا شاباً يكرس الوقت للتعامل مع واقعه الذي انفكت رموز أسرار السياسيين فيه، فقد رفع عنهم غطاء السحر الذي يغلفهم، ويسبغ عليهم هالات العظمة المدعاة، فكل شيء اليوم على المكشوف، فالسياسي يصور عارياً، ويسجل له شخير نومه، ويعرف الناس عنه أكثر مما يظن، والذي يمكن من خلال أدوات الإعلام المعاصرة، والتي تخترق الحدود أن يعلم ما يقال عنه في بلاد ما وراء الشمس إن حاولت أجهزة تعظيمه صناعة بطولة كاذبة له.

لم يحاول السياسي في هذه اليوميات أن يسرب للقارئ سراً كبيراً طوى عليه، ولم يحاول أن يصنع لنفسه بطولة وخصوصية ككل من يكتب مذكراته ويومياته، فبدت في الكثير منها صادقة، ولكنها ليست قوية بما فيه الكفاية.

اليوميات لا تصلح لما قيل لي إنها لرجل هو الصندوق الأسود لعالم سياسي لهذه الفترة التي كتبت فيه.

كليمة في كتاب (١٠):

الثورة

مناحيم بيغن

[٩ يناير ٢٠١٨ – ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٩]

كم أكره الكذب في العلم، وكم هو مقيت تزوير القلم.

هذا كتاب قرأته قبل أكثر من ثلاثين سنة، وعدت إليه مراراً حتى اضطررت إلى شراء عدة نسخ لتلف النسخ عندي من كثرة العودة إليه.

منذ أن قرأته وأنا أتعجب من تزوير مترجمه للعنوان، فبيغن سمى كتابه: الثورة، والمترجم أبى إلا أن يسميه يوميات الإرهابي مناحيم بيغن، فهل دور المترجم تنقية الأفكار للقارئ خوفاً عليه، وهل دور المترجم اختيار ما يريد من الكتاب تأكيداً لأفكاره لا ما يريده الكاتب!؟

قلّما تثق بما يفعله المترجمون العرب، فأنت حين تقرأ ترجماتهم تحسّ أنك تتعامل مع لص يخفي بعض ما يحمل، ومزور يغير عليك صورة اللوحة.

وهكذا يصنع الكثير من المترجمين العرب، وخاصة المؤدلجين منهم، أو من هم عبيد لغير العلم وحقيقته، يخدمون أسياداً همهم ثقل البسطار الأمني، أو تزكية الذات.

عودتي لهذا الكتاب الآن سببها أن أحد الأحبة طلب كليمة عنه، بعد أن كتبت عن مذكرات الصهيوني وايزمان ومذكراته المعنونة: التجربة والخطأ.

اهتمامي بهذا الكتاب لأنه من أصدق الكتب في التعبير عن النفس الغاضبة، ومن أصدق الكتب في التعبير عن قوة الإرادة في الاندفاع نحو الهدف، ومن أصدق الكتب في بيان حالة خصومنا عقائدياً وسلوكياً.

هذا خصم صريح، وقد تعلمت من زمن أن أقرأ للخصم أكثر مما أقرأ للصديق، وقد كان إخواني يعجبونني وهم يقرأون صحف الخصوم في السجن في بريطانيا، فأسألهم: لمَ؟ يقولون: لأنا لا نريد أن نقرأ لمن يتكلم مثلنا، وإنما نريد أن نقرأ لمن يتكلم ضدنا.

بيغن شخصية عجيبة، لا يملك إلا الغضب والصراحة والاندفاع نحو الهدف بلا تردد، فهو نموذج لشخصية التلميذ الذي صنعه جابوتنسكي على عينيه.

جابوتنسكي الذي يقول في كتابه: التجربة والأمل (تأمل المعارضة بينه وبين وايزمان في كتابه التجربة والخطأ): السياسة هي فن القوة، وعندما تضرب الفولاذ بمطرقة فإن الجميع يتهيبون صوت الدوي، وعندما تستعمل القفاز فإن أحدا لا ينتبه لك.

وفي تماهي تام مع فلاديمير لينين في مقولته: العنف داية التاريخ، يقول جابوتنسكي: إن الأحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ.

وللذكر فإن لينين يهودي كما كشف عن ذلك الكثيرون أولهم عدو اليهود هتلر.

(كلاهما فلاديمير)

هذا الكتاب لا يستغني عنه باحث في تاريخ الثورات، ولا يستغني عنه صاحب قضية لا يستمع لها الناس، لا لصدق قضيته، ولكن لأسلوب الذهاب نحو هذه القضية.

أنا أؤمن بأن القضية الإنسانية مهما خالفت معتقد صاحبها، إن كتبها صاحبها بصدق فهي ميراث لك.

مذكرات هذا اليهودي الصهيوني مليئة بالتصميم وقوة الإرادة، وعدم النظر إلى الخلف، فمن يريد أن يوجد دولة من لا شيء، ومن يريد أن يصنع تاريخا لأمته لا ينظر للخلف، ولا لما يصيبه من المحن والأهوال.

كانت مذكرات وايزمان سياسية بامتياز، تمشي داخل سراديب الحاكمين لتمرير مشروع دولة إسرائيل، يهتم صاحبها باللقاءات وشرح المواقف وأخذ التأييد والتعاطف، لكن هذه المذكرات مليئة بالبارود والتفجير والدم والقتل.

دماؤنا ستنبت شجرة الحرية.

لقد كان علينا فقط أن نؤمن أن عملنا وتضحياتنا ودماءنا وآلامنا هي التي ستضمن لنا النصر.

إذا لم نناضل فسنتحطم، فطريق الخلاص الوحيد هو النضال.

نحن نكافح فنحن إذاً نكون.

كتبت هذا الكتاب أولاً لشعبي اليهودي لئلا ينسى كما نسي ويا للأسف من قبل.

هذه بعض كلماته الغاضبة.

بيغن كان رئيسا لعصابة ثورية، جعل مهمته قتال البريطانيين، وإسقاط هيبتهم، مع أنه كان جندياً في الجيش البريطاني، وما استطاع الدخول لفلسطين إلا أنه جندي في هذا الجيش.

لم يكن يهمه إلا هدفه، ولذلك قتل بعنف، واشتهرت عمليته ضد الجنود البريطانيين في فندق الملك داود، والتي صار على إثرها إرهابيا مطلوبا لبريطانيا.

لقد كانت هناك الكثير من المنظمات اليهودية العاملة لصناعة دولة إسرائيل، وبينهم من الخلافات الشديدة، بل حصل بينهم قتال واغتيالات، ومع ذلك تعلموا كيف يديرون خلافاتهم على وجه من وجوه العمل لا الاستئصال، لكن هذا لا يعني أنهم لم يعانوا قتل اليهودي لليهودي في سبيل بلوغ الغايات، بل حصل الكثير من هذا، وأريق الكثير من الدماء بيد بعضهم بعضا.

هذا اليهودي المتعصب الدموي، ارتقى به الأمر أن صار رئيس وزراء دولة إسرائيل، وعلى يديه تم خرق نبوءات التوراة عندما تخلى عن سيناء، ذلك لإيمانهم أنه إن قامت دولة إسرائيل تحضيرا لملكهم المنتظر أنها تمشي للأمام لا للخلف.

مات بيغن مصاباً بالاكتئاب، ذلك لأن نبوءاتهم كاذبة، وإن كانوا بذلوا لها كل وسعهم.

هذه المذكرات لا يجوز لأحد يقرأ تاريخ الثورات أن يغفل عنها فهي مع صغرها مليئة بالتخطيط والعمل الدؤوب والإصرار.

ولا بد أن تدرك من خلالها أنه لولا الدين الذي يدين به، والمعتقد الذي بنته النبوءة لم يكن لهذا كله أن يكون.

كليمة في كتاب (١١):

مكان بين الأمم

بنيامين نتنياهو

[١٥ يناير ٢٠١٨ – ٢٨ ربيع الآخر ١٤٣٩]

هذه الشخصية قذرة في المفهوم السياسي، لكنه يعبر بحق عن شخصية اليهودي السياسية في طرحه وأسلوبه، ويذهب فوراً إلى مخاطبيه بصراحة ووضوح، ولا يخجل أبداً أن يستجدي استجداء المتسولين، كما لا يخجل في نفس الوقت أن يظهر بمظهر المحارب البطل.

هذا الرجل ليس خريج المؤسسة العسكرية كالكثيرين ممن استلم رئاسة الوزراء في هذه الدولة، ولذلك يعدونه مسخاً من الحيلة والكذب والمناورة القذرة.

هذا الكتاب ألف من أجل الرجل الغربي، فهو يستثير فيه عهود قادته الذين قطعوا الوعود لأجداده أن هذه الأرض بشقيها: الضفة الغربية والضفة الشرقية لليهود، وهو خطاب كذلك لبني جلدته ممن بدأوا يشعرون بالعار من جرائم بني دينهم ضد شعب آخر، سرقت أرضه وشرد منها، واتهم بالإجرام ظلما.

عمدة الكتاب إعادة التذكير بمقاصد الحركة الصهيونية، من خلال مساحة الأرض الموعودة، لا من الله هذه المرة، ولكن من الغربيين، ومن خلال حاجة هذا المجتمع المسخ والاستيطاني لعمق مهم، يمنع من زوالها على يد هذه المجتمعات الغريبة عنها، ومن خلال حاجتها بعد الأمن لاستيعاب الشعب اليهودي، وحاجته للماء وسواها.

ثم تأتي القضية الثانية، وهي هاجس هذا النتن ياهو وهو ملاحظته أن جزءاً من شعبه بدأ يشعر بالندم فيما اقترفه من مظالم وجرائم، تحت دعم الغرب وسلطانه، فهو يحاول جاهداً منع هذا الشعور، وإماتته، حتى لا يؤدي إلى تنازلات، هي في النهاية أسس زوال دولة إسرائيل: حلم اليهودي الصهيوني كما يقول.

حين يكتب هذا الرجل هذا الكتاب، وبعد حروب ناجحة ضد خصومهم، ودعم لا محدود من الغرب، وحين تصبح السياسة منه مجرد عامل تجلي لقهر اليهودي وسيطرته، وبعد صناعة وسرقة ودعم ترسانة أسلحة خطيرة لا يعادلها قريباً منها بيد أعدائها (وقد تحولوا تدريجياً إلى أولياء وأصدقاء وأحباب) ثم يأتي حاملاً كل هذه الهواجس من داخل شعبه ومن خارجه، من داعميه ومناصريه فهذا يعني أن المشروع اليهودي لم ينتصر.

النظرة السطحية عن بعد تنبئ المرء أن المشروع اليهودي الصهيوني قد انتصر، وهذا يروجه بعض المنتكسين عن فطرتهم من بني جلدتنا، ولذلك يسوقون نفسية الهزيمة لصناعة المزيد من التخاذل والتنازل، والتطبيع وقبول هذه الدولة المسخ كأمر واقع، وحين تقرأ مثل هذا الكتاب تشعر بعمق الخوف الذي يعيشه هذا اليهودي الغاصب، وهذا الغريب في هذه البلاد.

المشروع اليهودي لم يتحقق، ولن يتحقق، لا يعني هذا أننا انتصرنا، فهذا القول ضرب من الجنون، فهزائمنا واضحة كالجبال، لكن لا يعني هذا أنهم صنعوا الحلم الصهيوني، فما زالوا يعيشون رعب خوف الهزيمة، وما زالوا يعانون من غربة الأرض والإنسان.

هذا الرجل أراد المزيد من التعاطف، ومزيداً من التأييد، ومزيداً من إيقاف الانهيار النفسي لبعض بني قومه كما يقول، وهو في هذا يكشف عمق الغربة التي يعيشها هذا الكيان الاستيطاني في بلادنا، وبهذا تعرف قيمة الحجر الذي يلقى على جنديه رافضا وجوده، وقيمة عدم استقبال وفوده لأنه منبوذ، وقيمة الكلمة التي يطلقها أي شيخ أو عالم أو مؤمن بزوال هذه الدولة، وأنها بالنسبة إليه رعب حقيقي وكابوس يؤرق ليله ونهاره.

الرجل يصرخ في الجيل اليهودي الجديد الذي بدأ يظهر في مجتمعاته، ونسي صبر أجداده كما يقول، وبدأ يتخلى عن حلم أرض إسرائيل، فهو يصرخ فيهم بتلك الذكريات التي ورثها أجدادهم.

على الصفة المقابلة يتكلم الرجل كلاما كثيراً لا تفهم منه شيء، ولكنه يحسن عرض اللقطات السريعة في ذهن الرجل الغربي لصناعة لوحة مشوهة.

لم ينس هذا النتن ياهو في خاتمة الكتاب وبطريقة درامية مبكية أن يقول ويشرح أن تاريخ البشرية كله مختزل في تاريخ اليهود، بل وجود الله تعالى عنده مرتبط بوجود اليهودي وصناعته للتاريخ.

حقاً إنهم يتقنون الكربلائية ككل كذاب، ولكنهم يكشفون عن فن اللطم ككل مستجدي، وبدون حول ومنهم ولا قوة يعيشون في كيبوتس الذات لا أكثر.

عندنا مثلهم كذلك.

كليمة في كتاب (١٢):

حقائق عن التصوف

عبد القادر عيسى

[١٩ يناير ٢٠١٨ – ٣ جمادى الأولى ١٤٣٩]

مع أني أعد الكلام عن التصوف صار مكروراً، وقد زالت الغشاوة الأكبر عن الناس في معرفة واقع التصوف وتأصيله التاريخي والفلسفي، ومع هذا فإن البعض من الأحبة قد طلب مني كلمة في حق هذا الكتاب، وذكر أن بعض الناس يجتمعون لقراءته والتعلم منه، والاستهداء بمنهجه، فعجبت من هذا، ووعدت الأخ أن أكتب شيئاً في حق هذا الكتاب ومؤلفه.

وهذا الكتاب من الكتب الأولى التي قرأتها لتحديد وجهة المرء، فأنا وقعت بين حدين في بداية رحلتي العلمية، بين التصوف وبين الفقه والحديث، وكان الصديق الأقرب إلي يومها صوفي، وقد أهداني هذا الكتاب، فعرفته مبكراً، ثم إني جالست أكبر تلاميذ المؤلف في الأردن، وهو الشيخ حازم أبو غزالة، وحدثت لي قصة عجيبة معه، وحازم ممن أعطاه عبد القادر عيسى الإذن بالذكر الخاص، ويقصدون بالذكر الخاص هو ذكر الله المفرد: الله، والذكر العام هو لا إله إلا الله.

والذكر الخاص عندهم له آثار تربوية صوفية وعرفانية أكثر من كلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

أما قصتي مع التلميذ فسأحكيها في مقام آخر، لأن فيها النفع بعدم الاغترار بالألقاب والصور والعمائم، وما يزعمه الصوفية من الأخلاق يحتاج إلى دليل، وكأن هذا الدليل مفقود.

هذا الكتاب ككل الكتب المزورة لحقيقة التصوف، لأنه يشرح التصوف بما يقبله العامي، بعيداً عن حقيقته في نفس أهله، وبعيداً عن واقعه، وإليك التفصيل:

هذا الكتاب يجعل التصوف هو الأخلاق، ويجعل التصوف هو الصلاح والتزكية، ويجعل التصوف هو إصلاح الباطن بتطهيره من الحسد والحقد وحب الدنيا، فبهذا التغليف الجميل للتصوف يساق المغفل الغر لمشايخ التصوف ليسلك تسليكاً آخر بعيدا عن كل هذا، أو يكون هذا الأمر آخر ما يهتمون به.

لسْتَ اليوم بحاجة لتقرأ ما قررته كتب التصوف الكبرى عن عقيدة الصوفية الكبار، والمراجع المشيخية لهم، ولا أن تقرأ الكتب لتعرف طريق القوم، ولماذا هي، هل هي لتحصيل الإحسان كما يقولون تزويراً على المساكين، أم لتذوق العرفان الشركي المقرر في الاعتقاد.

المطلوب منك أن تذهب لشيخ صوفي وتجلس معه لتعرف مقدار تقواه وزهده الذي يزعم صوفية كتب التزوير أنه خصلة شيوخهم، ولترى علم شيوخهم وفقههم في الدين والتوحيد والحديث والعقائد، ولتعرف ما هو نوع الذكر الذي يمارسونه لتحصيل مقامات التصوف كما تسمى عندهم.

لو تكلم لي أحد عن تلميذ عبد القادر عيسى حازم أبو غزالة ولم أره لبكيت أن فاتني لقياه، ورؤية صلاحه، فيكفي أن يقول القائل فيه: الشيخ العارف الزاهد الذاكر المربي...، إلى آخر ما يطلقه الأتباع على شيوخهم، لأظن أننا أمام ولي حضر في هذا الزمان المتأخر، مع أن الحقيقة ليست كذلك، فالزهد بينه وبينه مفاوز، وكذا الذكر والتقوى وترك الغيبة وسب المسلمين بل وتكفيرهم.

ولذلك أنا أذهب فوراً إلى صورة الرجل، ومحياه ومجالسته حتى أرى ولا يزور عليّ، فالرجال كالكتب، يمدحها الناس بغير استحقاق، ويكذب في مدحها ورفعة شأنها وهي لا تستحق الورق الذي كتبت فيه.

لم أبق في شبابي شيخاً صوفياً له طريقته، وله أتباعه، وله ما يسمى بالحضرة، أي مجلس الذكر البدعي إلا وذهبت إليه، فرأيت العجب العجاب، فكلهم يجمعهم الثراء والغنى، وكلهم يرقصون ذكراً بطريقة تضحك الثكلى، وكلهم لا يحسن العلم ولا الفقه، وبعضهم لا يحسن قراءة القرآن، هذا مع أن الشيخ حازم تلميذ عبد القادر صاحب الكتاب حافظ لكتاب الله تعالى.

هذا الكتاب –حقائق عن التصوف– يسرق المرء ليذهب به تسليكاً للتصوف عندما يدخل في جملة الأتباع والتلاميذ، لكن هل في الكتاب انحرافات الصوفية، باعتباره كتاباً فقط، وليس وسيلة لصوصية للشيخ؟

في الكتاب وصفحة ١٢٤ يقول الشيخ: أما الذكر المفرد (الله) فجائز.

الذكر في الكتاب والسنة على نوعين، واجب ومستحب، أما القول بأن هناك ذكراً لله حكمه الجواز فجهل عظيم، ومعلوم أن العبادات (النسك) لا يقال فيها بالجواز، بل هي إما مستحبة أو واجبة، والقول بالجواز لأن القوم يجعلون أعمال التعبد من قبيل: الأصل في الأشياء الإباحة.

وبعيداً عن النقاش في هذه النقطة التي يعلم خطأها أي طالب علم، ولكن يبقى السؤال: إذا كان في حق هذا الذكر حكم الجواز، فلماذا تجعلونه ذكر الخاصة، بل تقدمونه على كل ذكر جاء القرآن والسنة باستحبابه أو بإيجابه على معنى ما؟

وعبد القادر عيسى يقول هذا: فقالوا: وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد!!.

بل هو يجعل طريق الخواص بعد تدريبهم في الابتداء على كلمة التوحيد أن يرتقوا لهذا الذكر ليحصل لهم درجة الإحسان.

هل نتساءل: أين الصحابة من هذا المقام، وأين الصحابة من ذكر الخواص هذا!!.

يأتي الشيخ عبد القادر لقضية الحركة في الذكر، هكذا يخفف وقع حقيقة الفعل بجعله مجرد حركة!.

لكن هو يمرر مراده بتؤدة ومكر، فانظر إليه وهو يقول: وأن الاهتزاز بالذكر لا يسمى رقصاً محرماً!

هكذا تحولت الحركة لرقص.

ثم تتحول الحركة بعد ذلك لـ: حركة شديدة، يتحرك ويقوم ويقعد.

هكذا دخلت عالم ذكر جديد لا يعرفه الفقه ولا العلماء، ولكنه صار شعاراً لجهلة لهم خصوصية الاتّصاف بالبدعة عند كل فقيه.

عبد القادر عيسى يمشي على طريقة الصوفية في فهم كتبهم والتعامل بها، وذلك من خلال مسلكين إذا كان فيها الضلال والشرك والبدعة، فهو يعامل المخالفين بأن هذه نصوص مكذوبة على أصحابها، فإن روجع بأنكم تقرؤونها وتتسامرون بها، ولا تردونها فيما بينكم بحجة الدس فيها قالوا: هذه كتب

خاصة لأهل الطريق لا يجوز لغيرهم الاطلاع عليها، فهم أهل علومها وإدراك مراد أصحابها، وهذا هو المسلك الثاني.

وبهذا يحصل لهم الحصانة ضد كلام الفقهاء والعلماء إذا ما تكلموا فيها بما يرون فيها من ضلال وزيغ.

تأمل كلامهم عن الكشف والإلهام، وقارن بين العرض العجيب لهما وبين واقعهما في حياة شيوخ التصوف.

الكشف الحاصل للشيوخ دليله ما وقع للأنبياء من هذا المعنى، كما يستدلون، وببعض قصص الصحابة فيما وفقوا فيه من إصابة الحق، وهذا يقع للصالحين عموماً، وليس للمتصوفة ولا لشيوخهم، ولكن الكشف عندهم هو اطّلاع الشيخ على عالم الغيب، والتحديث عنه جازماً به كأنه يعيشه، وحين تتأمل وقائع كشوفهم كما في كراماتهم المعروضة في كتبهم تجد ما يضحك الثكلى.

لو رجعت إلى كشوفهم في كتاب الشعراني: الطبقات الكبرى، وكتاب يوسف النبهاني جامع كرامات الأولياء لرأيت أقواماً مجانين، لا يشك عاقل، بله مسلم أنهم مجاذيب صرعى الجنون حقاً.

ثم هل الإلهام حالة خاصة أم دوام حال تجعل المرء يعيش مع الغيب، وهو مطلع عليه في كل وقت وحين.

ثم تفصيل الكشف على أصحاب الأحوال الجنونية والتي يسمونها الجذبة تعرفك نوع ما يعتقدونه.

قبل أن ننتهي منه فلا بأس من أن تعلم أن الصوفية أهل جهل، ولو قلت أهل كذب لما أبعدت، وذلك بنسبة طريقتهم لعلماء لم يكونوا يوما جهلة صوفية، فهم ينسبون طريقتهم السرية هذه في أسانيدهم إلى علماء عظماء تسويقاً لباطلهم، كدعواهم، وهي دعوى عبد القادر عيسى أن بعض مسانيدهم تصل إلى أبي حنيفة، وهذا أمر مع كذبه هو أهون من غيره حين يوصلون خرقتهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

في ختام عرض هذا الكتاب بما يناسب الحال، فهذا كتاب دعاية وتسويق، فيه الخداع والتلبيس، فهو يعرض حقيقة مشوهة، تستطيع أن تراها في زيارتك لأي زاوية صوفية فيها شيخ صوفي، حينها ترى

الجهل والدعاوى والبدعة، وأشياء أخرى عجيبة، وعبد القادر عيسى يسوق كل هذا بتجميعات فيها الكثير من الغلط، مع بعض ما يحبه الناس من تحصيل الصلاح والتقوى والعيش مع الأولياء.

لم يعرض عبد القادر عيسى بعض ما يذكرونه من أورادهم العجيبة، بل هي الضلال إن لم تكن الشرك، فمجالس تلاميذه كمجلس حازم أبو غزالة يقرأون كل صباح ورد ابن بشيش، والذي فيه: اللهم أخرجني من أوحال التوحيد، واقذفني في عين بحر الوحدة.

هذا الورد هو مفتاح قصتي مع حازم أبو غزالة، حيث جعل الوحدة أعظم من التوحيد، وانتهى به الأمر إلى تكفير ابن تيمية، وانتهت الجلسة بأن من كفر مسلماً فقد كفر، ولم يستطع الشيخ إثبات كفر ابن تيمية، بل لم يُرد أن يسمع الذبّ عنه.

كليمة في كتاب (١٣):

الأدوار السياسية للعلماء

الأستاذ مصطفى الحسناوي

وجزء مفاكهة ذوي النبل والإجادة

عبد الحي الكتاني، وتحقيق الأستاذ مصطفى الحسناوي

[٢٠ يناير ٢٠١٨ – ٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

تمنيت أن أكون مطلعاً على مقدمة الأستاذ المحقق قبل أن أتكلم عن عبد الحي الكتاني عند مناقشة كتابه التراتيب الإدارية، فإنه كشف لي عن جانب مهم من شخصية هذا الفقيه، وعرفني بمحطة مهمة، أعتقد كما أخبر بها المحقق أنها سبب تصرفاته التي جلبت عليه سوء المقال والتهمة، ليس فيما مضى كما يقول البعض، بل إلى يومنا هذا، فهناك من هو قائم لا يكل في قذف هذا الرجل وسبه وتحميله تهم العمالة والخرافة.

جزء الشيخ عبد الحي الكتاني (مفاكهة ذوي النبل والوجادة) ليس من الفرائد للشيخ، وهو أشبه برسائل المعاصرين في الردود، إلا ما فيها من جزالة اللفظ وقوته، وقوة التجميع من الأمات التي تناولت موضوع عزل السلطان لتخلفه عن أداء واجباته.

ولكن مما لا شك فيه أن هذا الطرح الفقهي هو الملائم لطبيعة وحقيقة العقد بين الأمة والسلطان، فتخلف المعقود عليه يفقد العقد أهم الأركان، وهذا الفهم لحقيقة الأحكام السلطانية بعيد عن فهم الجهلة الذين يسيطرون اليوم على أدوات النشر بقولهم إن أمر هذا العقد زواج كاثوليكي، لا يفصم إلا بالموت أو كفر العاقد في خاصة نفسه، معلنا هذا الكفر بلا شبهة ولا استتار، والشيخ عبد الحي الكتاني قد يعذر في عدم تأصيل هذه المسألة كما ينبغي في جزئه، ولم يقدم لها ما يلزمها من حقيقة السلطنة

والملك في ديننا، وعذره ربما أنه أنشأ جزأه هذا رداً على كلام صحافة فقط، وذلك في عزل ملك وتسييد آخر.

وربما يعذر بما أعذره الأستاذ المحقق أنه ناقش قوماً لا يستحقون سوى المفاكهة!

كما أن الرسالة ليست تأصيلاً لقضية عامة، بل هي حديث عن قضية خاصة، جرى حولها النزاع بين فريقين، فريق يدافع عن الملك المعزول، وفريق يرى عزله شريعة.

إفادة جزء الشيخ الكتاني تحدث عنها الأستاذ المحقق، وتكلم بإجادة وفهم، وهو أن عزل السلاطين حق الأمة حين تتخلف شروط الإمام في السلطان، لكن ما أجاد فيه الأستاذ المحقق هو بيان أقدار الله وعجائبها في هذه المسألة والواقعة.

بعد أن عزل السلطان عبد العزيز، ووضع عبد الحفيظ بديلاً، وكان من أكبر من قام بهذه المهمة من المشايخ هو الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني، وهو أخ الشيخ عبد الحي، ولكن بعد تنصيب عبد الحفيظ انقلب هذا السلطان على الشيخ محمد بن عبد الكبير فبطش به بطشة كبيرة صارمة، بل ودموية. والسلطان عبد الحفيظ استخدم الفقه في هذا القتل، حيث كانت حيثيات الحكم أنه وقع في مخالفات شرعية، كون الرجل صوفياً وصاحب زاوية وطريقة.

الأستاذ المحقق أبدع حقاً في بيان هذه المسألة، وأتى بها على وجهها، وفسر بهذا البطش بصورته الحقيقة، وما سببه، ثم جعله علة تغير الشيخ عبد الحي الكتاني، وما صدر منه بعد ذلك من ممارسات أودت به في نهاية المطاف أن يلتصق بالفرنسيين!!

هذا الشرح الرائع من المحقق يقنع كثيراً، ومن خالفه يحتاج إلى جهد كبير ليرجعنا إلى خانة الحيرة في حق الشيخ عبد الحي الكتاني.

الشيخ عبد الحي الكتاني ليس هو وحده من وقع في هذا الوضع، ولا الذي وقع لأخيه كذلك، فإني أرى الكثيرين من المشايخ في هذا السياق، فالملك عقيم كما يقول عبد الملك بن مروان.

هذا ليس تبريراً من المحقق، بل هو تفسير يجمع الكثير من أجزاء الصورة المفقودة.

هذه ليست الفائدة الوحيدة من المحقق، فعندي له اثنتان أخريان:

الأولى: رأيته في بداية الكتاب يحمل بقوة على العلمانيين، وتصورته يقاتل ويصرخ ويحارب، وهذه منقبة له، ومع عدم علمي بعمر الكاتب لما قرأت الكتاب، إلا إني لم أتخيله إلا شاباً، جلداً، يستفز بقوة من الكذب الذي يأتيه هؤلاء الفجرة الكفرة من العلمانيين.

من قرأ الكتاب لا بد أن يحس بهذا النفس المقاتل.

ثانيا: شكره لمشايخه، وهم أحياء، واعترافه بفضل من له يد عليه، وخاصة ما ذكره عن الشيخ محمد شاكر الشريف، فهذا من حسن العهد الذي فقد أهله في هذا الزمان إلا قليلاً.

بقي لي كلمة واحدة في حق العنوان: الأدوار السياسية للعلماء!! لا أدري بما هو في قلبي تجاهها، هل هو ردها، أو شيء آخر، فالشيخ الذي أفتى وسعى لعزل السلطان السابق، قتله السلطان اللاحق دون أن يرف له جفن!!

بهذا الحال: إلا يخرج قهراً من نفوسنا قول: هل حقاً كانت الجموع تنتظر فتوى الشيخ لعزل وتمليك، وإن صح هذه فأين الجموع التي تمنع قتله!

ختاماً:

جزى الله الشيخ توفيق الدكالي في سعيه وما بذله مع واقع الحال لأن يصلني هذا الكتاب، فله يد تستحق الشكر، مع ما ذاكرني حوله. وبمثله يعرف المرء قيمة الحب في الله مع البعد.

كليمة في كتاب (١٤)

الحداثة والهولوكوست

زيجمونت باومان

[٢٤ يناير ٢٠١٨ — ٨ جمادى الأولى ١٤٣٩]

من الواجب قراءة الألفاظ المتداولة من خلال ثقافة أصحابها، لأنها لو عريت عن هذا الفعل لم تعد لتلك الكلمات معاني عالية أو هابطة في الوجود، وهذه مشكلة الثقافة بل معضلتها الكبرى.

(الهولوكوست) كلمة لا تصنع أي ردة فعل شعورية عند القارئ العربي، بل هي في أفقها الأعلى لا تمثل عند الكثيرين من العرب والمسلمين سوى أسطورة كاذبة، وسوق نخاسة للابتزاز واللصوصية، وهي عندي أنا كذلك، لا من باب الخيال النفسي، بل من باب التحقيق التاريخي، فلا وجود أبداً لشيء اسمه المحرقة اليهودية، ولا وجود أصلاً لما سمي بأفران الغاز التي كان يلقي فيها النازيون اليهود أحياء، بل حقيقة هذا كله يدور حول الواقع التالي:

شعر هتلر وكثير من الألمان أن اليهود مع الشيوعيين (كما ذكر ذلك هتلر في كتابه: كفاحي) هم أس البلاء الداخلي لبلاده، فهما شر محض في منع تطور ووحدة ألمانيا، وهذا الكلام حق ولا شك، فالعزلة اليهودية مع عبادة المال وكنزه، ومع شعور التفوق اليهودي على الغوييم من غيرهم يصنع منهم دوماً عامل سرقة ولصوصية، يحول كل من آمن بهذا الاعتقاد إلى طفيليات قاتلة في البدن الذي يحلون به، وهكذا كان اليهود، فنشوء ما يسمى بالمسألة اليهودية لم ينبع من نظرة الاستعلاء الغربي على العرق السامي (فقط) بل كان ينتشر الحقد على اليهود بين الناس بسبب العزلة الشعورية بعامل الاستعلاء النفسي، وبسبب العزلة الحقيقية في داخل التجمعات اليهودية الخاصة، وبسبب ممارسة امتصاص الناس وأموالهم، دون رحمة ولا احترام لطبيعة ومشاعر الأكثرية الذين هم وسطهم، وهذا هو سبب الممارسات الغربية ضد اليهود بينهم، مع شيء من الغرور الغربي كذلك.

لما وصل هتلر إلى سدة الحكم حارب الشيوعيين حرباً قاتلة، وكذلك اليهود، وكان قصارى جهده معهم تجريدهم من المزايا التي وضعوا أنفسهم فيها، ولتجنب شرورهم جمعهم في معسكرات اعتقال، وهذا أقصى ما عمله معهم، وأما ما يسمى بأفران الغاز فهو أكذوبة يهودية صارخة، فإن هذه الأفران كان إذا مات يهودي في هذه المعسكرات رموه فيها، على ما يفعل الأوروبيون في موتاهم الآن.

هذا قصارى ما فعله هتلر بهم.

الوثائق اليوم تثبت شروراً كثيرة لليهود مع هتلر ضد اليهود (باومان يأتي على ذكرها في كتابه)، ولتعاون اليهود مع هتلر كذلك.

بعد هزيمة هتلر نسج اليهود أكذوبة المحرقة اليهودية (الهولوكوست)، وبدأوا باستثمار هذه الكذبة، حتى صرخ أحد اليهود فيهم: كفاكم كذباً واستغلالاً مالياً لهذه الأكذوبة، هذا اليهودي هو: نومان فنكاستين، وسمى صرخته: صناعة الهولوكوست.

الغرب المتصهين، والمسيحيون التوراتيون أحاطوا هذه الأكذوبة بمجموعة قوانين صارمة تمنع إنكار هذه الأسطورة، بل تجرم من شكك في أعداد موتاها.

المهم أن هذه الأسطورة دخلت الوجدان الغربي، وصارت على العموم جزءاً من تفكيره.

في السجون البريطانية موعد سنوي مع قراءة ما كتبته طفلة يهودية خلال حبسها في المعسكرات الألمانية الهتلرية، ومع كل الوثائق التي أثبتت كذب هذه الذكريات، حيث أن لغتها تتعدى سن الكاتبة المزعومة، ومع أنها كتبت بقلم حبر جاف، في وقت لم تكن هذا الأقلام موجودة، إلا أنك مطالب أن تستمع لها حزيناً باكياً، لا تملك لنفسك حق الاعتراض ولا المناقشة.

زيجمونت بولمان صاحب هذا الكتاب خرج من سيطرة الصهيونية، ولم يعد يؤمن بها، وللذكر فالصهيوني هو من آمن بدولة يهود، وقد يكون ملحداً، لكن هذا لا يخرجه عند أحبار اليهود عن اليهودية، ولا يخرجه عن مفهوم السياسيين أنه صهيوني، ولذلك فهذا الكتاب لا يجدي نفعاً البحث عن يهوديته من عدمها، لكن يكفي أن يقول إن أصوله يهودية، وهو ليس صهيونياً.

كتابات هذا الرجل تصب في طعن الحداثة، والتي هي دين المفكرين الجدد، كما هي فلسفة الحكم الكولونالي الجديد والذي تمارسه دول السيطرة العالمية الجديدة.

الحداثيون يبشرون بدين جديد، ويستغفلون الناس أن سبب الحروب والمآسي هو الدين، وحيث انطلقت قيم المجتمعات بعيداً عن الدين تحقق فيها السلام، والأمن، وكان التسامح.

حاولت أن أتدسس في كلمات باومان حول تصديقه أو تكذيبه لحقيقة المحرقة، فهل هو مشكك ولو بتلميحة ما حولها، أم أنه يبني نظريته في نقد الحداثة على حقيقة وجود الهولوكوست.

الكلمة الوحيدة التي استطاع باومان دسها في كتابه حول المحرقة هي الكلمة التالية: كانت الهولوكوست في واقع الأمر مأساة يهودية. صحيح أن اليهود لم يكونوا الجماعات الوحيدة التي تعرضت إلى معاملة خاصة على يد النظام النازي...

هكذا، تحت هذه الكلمات هروب سريع من تهمة التشكيك، ومحاولة ملتوية من مواجهة الحقيقة.

صحيح أن باومان رجل فكر، وسياسة اجتماعية، لكن هذا البناء السميك الذي صنعه في نقد الحداثة إنما أقامه على صور خداعية يصنعها تاجر خبيث، وهو جزء لو تفكر باومان فيه لوجده هو من يمثل أكذوبة الحداثة التي يريد هدم أسسها الإنسانية في كتابه هذا.

لكن هناك ما يمكن التأسيس عليه من طرح باومان:

الغرب يحاول جاهداً وبقوة جعل الحضارة!! النازية خارج الحداثة الغربية، وهنا يكمن لهم باومان صائداً، فيقول: إن النتاج النازي هو نتاج غربي، وهو تتويج متكامل لحضارة الحداثة الغربية. بل يقول: إن الهولوكوست وقعت في أوج حضارتنا!! وفي ذروة إنجازنا الثقافي الإنساني.

ما تقدم لا يعني أن باومان لا ينقد التصرف اليهودي، بل هو بطريقة ذكية يدمج الرؤى اليهودية ضمن الحداثة القاتلة. بل هو يجعل الرؤى اليهودية في العالم الغربي هي منطلقات هتلر في إزالتهم من أدوات الصراع مع خصومه.

هنا يمكن أن ينصب اليهود له المشنقة، لكن باومان رجل ذكي، فهو يضع كل هذا ضمن تصويبه فوهات بنادقه ضد الحداثة باعتبارها لا تستوعب الآخر بل هي دموية المسلك.

فكل أفكاره منصبة حول أسس النازية، وانها لا تمثل نتاجاً غريباً في مسار التاريخ الأوروبي الحديث، بل كل ما حصل منها هو تجليات الثقافة الغربية الحديثة.

هذا البناء أسسه على أبنية الحداثة، باعتبارها عملاً سياسياً واجتماعياً، وكان الأضعف حضوراً هو النقد الأخلاقي لهذا الدين الجديد الذي يعظمه أصحابه، لدرجة سوق الحروب وصناعة الكوارث من أجل نشره في العالم.

من أهم مباحث الكتاب نقد اليهود بعد الحداثة، فإنهم كما يصفهم قد خرجوا من العزلة التي ضربوها على أنفسهم أو ضربت عليهم، لكنهم ورطوا أنفسهم في صراعات تاريخية، لا يقصد منها قط الحالة التي يمثلها الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين، بل بقاء مفهوم اليهودي المرابي (شيرلوك) في ذهن الغربي، فبدل كلمة الربا تحول العدو لكلمة رأس المال، وهي ما زالت على حالها.

الكتاب يصلح له عنوان واحد فقط: حل المسألة اليهودية الجديدة لما بعد الحداثة.

الرجل يشعر أن اليهود ما زالوا تحت خط الخطر، يعيشون نفس المشاكل التي أدت للمحرقة، ولذلك فالنتائج واحدة.

هذا كم كافي للالتقاء معه، ولنا كم آخر نحن نصنعه، ومشكلتنا نديرها بأنفسنا مع هؤلاء البشر.

ملاحظة: هذه الكليمة ظالمة في حق الكتاب، فالرجل لا يحسن التطويل ولا الحشو، ففيه الكثير من الرعب الذي يؤسس عليه كتابه ضد بني قومه (هذا إن كانت اليهودية قومية).

كليمة في كتاب (١٥)

نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفرائد

الحافظ خليل بن كيكلدي العلائي الشافعي

[٢٥ يناير ٢٠١٨ – ٩ جمادى الأولى ١٤٣٩]

يسأل بعض طلبة العلم عن كتب تساعدهم في الجمع بين الفقه والأصول، مع إرباطهما بالدليل، ومصادر هذا العلم كتب شرح الحديث، فأنت تستطيع رؤية هذا الأمر في التمهيد لابن عبد البر، وكذلك الاستذكار له، وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري، وفي شرح بدر الدين العيني للبخاري، ولكن يعاني الطلبة ضعفاً في مسايرة هذه الكتب المطولات، مع أن طالب العلم لو تعامل معها بالتقسيط، حيث يقف كل جلسة على حديث أو حديثين فإنه يستطيع أن يستفرغ دررها، ويعلم علومها وما حوت، وبهذا تقوى لديه ملكة الأصول والفقه، وهما أس صناعة العقل الفقهي، وبهذا يذلل له النظر في النوازل والاختلافات الفقهية ويعرف كيفية بناء الفروع على الأصول، والعلم ليس معرفة الخلاف في المسألة بل العلم معرفة نزع المسألة، وللآمدي الأصولي الكبير كلام عظيم في هذا الباب أنقله لأهميته، وهو في كتابه العظيم: إحكام الأحكام (١٥١/٤).

وهذا تحت باب: الاعتراضات الواردة على القياس، وذلك في الاعتراض الخامس والعشرين.

يقول: وحاصله يرجع إلى تسليم ما اتخذه المستدل حكماً لدليله على وجه لا يلزم منه تسليم الحكم المتنازع عليه.

ثم يقول :.. خفاء المدرك أغلب من خفاء الأحكام، لكثرة المدارك وتشعبها، وعدم الوقوف على ما هو معتمد الخصم من جملتها، بخلاف الأحكام، فإنه قلما يتفق الذهول عنها، ولهذا قد يشترك في معرفة الحكم المنقول عن الإمام الخواص والعوام، دون معرفة المدارك، فكان احتمال الخطأ في اعتقاد كون المدرك المعين هو مدرك الإمام أقرب من احتمال الخطأ فيما ينسب إلى الإمام من الحكم المدلول عليه. انتهى.

ولذلك كثيرا ما نرى رد البعض على كلام الأئمة دون النظر لما قاله الآمدي، وهو غلط في البحث والنظر.

وأشبه ما أرى مثالاً في هذا ما انتشر من رد فقه ابن عباس رضي الله عنهما في تقدير مقام المرء مقيماً في بلدة لتحقق معنى السفر، وقد قال الإمام أحمد عن هذا الاستدلال إن القليل من يعلمه كما قال الأثرم، وهو مثبت في المغني لابن قدامة.

ولذلك يعجبني كثيراً شاه أنور الكشميري وهو يعلن حيرته في الترجيحات الفقهية، وذلك لخفاء مدارك أهل الفقه في أقوالهم، ويسيء للفقه من تعامل مع خلافات الفقهاء بجزم التخطئة والتصويب كما يفعل المبتدؤون والصغار.

هذا الكتاب شرح لحديث ذي اليدين في السهو، وقد أخذه من المنتقى للمجد ابن تيمية، وأفرغ الحافظ الكيكلدي عقله في شرح واستنباط المعاني العلمية، من فقه وأصول من هذا الحديث، حتى بلغت فوائده عنده: إحدى وأربعون مسألة، اهتم في بداية الكتاب بترجمة الرواة، من صحابة فمن دونهم، ثم أتى على مسائله وألفاظه، ومن ذلك الإشارة إلى طرق الحديث والتي راجع فيها ما قاله الأئمة عن هذه الواقعة، وهل تكررت أم هي هي، ثم أتى على مسائل الأصول اللازمة لفقه الحديث، ومن ذلك البحث في قول الصحابي: من السنة كذا، وهي مسألة بحثتها في ورقات مع مسائل أخرى سميتها الحوار مع الكبار، رددت فيها على الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى، مستعرضاً كل ما احتج به.

هذه الطريقة هي التي أشار لها الإمام علي بن المديني أن فقه الحديث واستنباط علومه، ومعرفة الرجل هي العلم كله، فهذا نصف وهذا نصف.

ومن محاسن الكتاب في المناقشات الحديثية ما رد به الإمام الكيكلدي على طريقة الإمام النووي في توجيه الخلافات في ألفاظ الحديث إن كانت الحادثة واحدة، وهو مبحث يدخل عند أهل الحديث والفقه في: زيادة الثقة، مع ما في مبحث اتحاد المخرج من خصوصية.

الكتاب مليء بالفوائد الفقهية والأصولية، لا ينبغي لطالب العلم أن يتجاوزه، فهو صورة من صور التمرين في التعامل مع فقه الحديث، والخلافات الفقهية والأصولية.

أن يبلغ مجموع ما استنبطه الإمام من الحديث هذا العدد الطيب يدل على سعة العلم، ويدل على غزارة النص النبوي لطالب العلم، والكتاب ولا شك تمرين لهذا النوع من الاجتهاد والطلب.

كان هذا الكتاب في ذهني وأنا أشرح حديث الغلام والراهب والساحر وذلك في جزء (درك الهدى في اتباع سبيل الفتى)، فمثل هذه النماذج تهدي السائر في التعامل مع جوامع الكلم النبوي الشريف.

رحم الله علماءنا وألحقنا بهم على خير وهدى وعافية.

كليمة في كتاب (١٦)

دلائل النبوة

القاضي عبد الجبار المعتزلي

[٣٠ يناير ٢٠١٨ - ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٩]

أرسل لي أحد الأحبة العقلاء –وله يد سابقة– مقدمة هذا الكتاب قائلاً: مقدمة عظيمة، تصلح في الرد على كثير من الشبهات هذه الأيام. فجزاه الله خيراً.

هذا كتاب صديق قديم لي، ولكن عيبه الوحيد وهو في يدي أني لم أطلع إلا على جزئه الأول، من تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، ومضى حكمي عليه قديماً منذ أن اقتنيته من خلال هذا الجزء، وكنت أقول: هذه عقول عظيمة في الرد على الملحدين والزنادقة.

وعند ذكر طوائف البدع يقفز فوراً عند السني هذا السؤال: ما هو مقدار التقائنا معهم؟ أي المسلمين منهم، لا من كفر وتزندق وارتد.

والقدر المتفق عليه في الجواب على هذا السؤال هو: الحق الجامع بيننا، فحيث قالوا بالحق، وحيث وقفوا أمام الباطل، فنحن سواء.

عندما تكون معركتهم هي معركة الإسلام ضد الكفر، والهدى ضد الزندقة فهم منا ونحن منهم، يصيبهم دعاؤنا، ونحميهم بما نحمي به أنفسنا.

كل طائفة من المسلمين حملت حقاً فهو من إرثنا، نتعلم منه ونواليه، وحين تقاتل بالعلم أو بالسلاح أعداء الدين فلهم منا حق النصر والدعاء.

وحين توجه هذه الطوائف سهامها علينا، وتتنكب السنة فحينها نجرد أقلام الحق ضدهم، فإن بغوا بالسلاح كالخوارج كان من القربة إلى الله أن نفريهم.

المعتزلة أهل جدل وعقل، وهم كما يقول ابن تيمية: أهدى في الطبيعيات من المتكلمين، وإن كان المتكلمون أهدى منهم في الإلهيات، وهذا حكم عادل منصف، لا يقوله إلا من خبر أصول المذاهب، ومآلاتها، وهو القائل رحمه الله: (من لم يعرف أسباب المقالات، وإن كانت باطلة، لم يتمكن من مداواة أصحابها، وإزالة شبههم)

وبمثل هذا القول ردد تلميذه ابن القيم في ضرورة أصول المقالات، وكيف هي في نفس صاحبها، حتى تستطيع أن تلج لنفسه، ومن نوع خطابه تأتيه على قاعدة القرآن ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ واللسان أعم من نوع اللغة.

وهذا الكتاب للقاضي عبد الجبار كتاب رائع، مهمته إثبات نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من المصنفات، مثله مثل المصنفات حول إعجاز القرآن، وقد كتب فيه القاضي كذلك شيئاً من هذا في هذا الكتاب، انتشرت في وقت انتشار الزندقة، والتكذيب، والإلحاد، فقد غلب على بلاد المسلمين في هذه الحقبة الباطنية، والقرامطة، والحشاشون، وقد ملكوا أغلب بلاد المسلمين، وصارت لهم قوة وشوكة.

والناس في هذه الباب من نصرة الدين على أصناف، فمنهم من خاطب الناس بالنص فقط، ومنهم من مزج النص بنوع عقل المخالف، وقد بين ابن تيمية رحمه الله خطأ الطائفة الأولى وبين أنواع قصورها، وذلك في كتابه درء تعارض العقل والنقل فليرجع إليه.

ولا شك أن النص دوماً بحاجة لعقل يزيل عنه تلبيس الجهلاء، وصعف عقل المخالف، كشأن الفقيه مع المقلد والجاهل، إذ لو أعطاه النص قد لا يفد منه، لضعفه في معرفة طرق الاستنباط، ومدارك الاجتهاد.

في نفس هذا القاضي من الثقة العظيمة بهذا الدين ورجاله، وخاصة أصحاب رسول الله، والأربعة الخلفاء منهم ما يذهلك، وتضطر اضطرار الواجد بغلبة الوجد عليه أن تترحم عليه وتدعو له.

مما لا شك فيه أن صاحب العقل لا يمكن أن يبني عقله دون أساس من الخبر، فالخبر والنص هو الأساس، ثم يأتي العقل والنظر، ولذلك ترى القاضي في كتابه يأتي بالأخبار التي رواها أصحاب الدلائل

الخبرية، مثل البيهقي، وكتابه في دلائل النبوة من أعظم الكتب وأوعبها، ومثل كتاب أبي نعيم، وهو تالي لكتاب البيهقي، رحمهما الله تعالى، ثم بعد الخبر يبني البناء العقلي المتين في هذا الباب.

كان أعظم ما يستدل به هؤلاء هو نصرة الله لنبيه على خصومه، وهذه حجة قرآنية جلية، يحاول البعض اليوم التقليل منها، بكون هذا القدر مشترك بين الأنبياء وغيرهم في تحقيق الغلبة والنصر على الخصوم وبناء الدول، وهذا جهل وغلط، وإن وقع به البعض من المناظرين للخصوم من الزنادقة والملحدين.

فحال النبي في هذا لا يشبهه أي حال رجل آخر حقق نصراً أو بنى مصراً، والقاضي يقدم لهذا الدليل مقدمة عظيمة مهمة، هي ما أشار إليها الصديق، حفظه الله بأنها صالحة للرد على الكثير مما يقوله أعداء الله.

(فأين في تاريخ البشرية رجل أكفر الدنيا كلها، وعادى كل من كان فيها، وضلل كل دين يدين به الناس يوم بعثته، وهو إذ ذاك فقير معدم وحيد، أجير معيل، ثم هو لا يعتصم بمخلوق، ولا يصوب ملكاً من ملوك عصره، ولا يلوذ بأحد من البشر، ثم هم من أحرص الناس على قتله، وطلب نفسه، وينذرهم أنه سينتصر عليه، وسيغلب كل ملوكهم وسلطانهم، وهو في كل هذا كالباعث لهم على نفسه، وكالحامل لهم على مكروهه، وهو يذكرهم بهذا، فسلم منهم مع هذه الأحوال).

(هذه كلها كلمات القاضي، أسبغ الله عليه الرحمة).

ثم يأتي القاضي بكلمات هي العجب من الفهم والنظر، وجمال اللغة، ويسير سير العالم بدروب النفس ليقضي على الشر فيها.

والقاضي يأتي بالجاحظ مبجلاً، وبمثله النظام شيخ الجاحظ، محتجاً بكلماتهم، وهو في هذا على سنن الناس في هذا الباب.

أما حين يأتي على الملحدين فهو يكشف باطلهم، ويعري مقالاتهم.

ومما ينبه العاقل أن الرجل من أشد الناس على دين اليونان وكلام أساطينهم، لا يراها إلا ضلالاً وفساداً وكفراً.

لا يمضي الكتاب دون الرد على النصارى والرافضة والملحدين، وبيان وجه ما يعتقده من إعجاز القرآن، ثم السير موجهاً على وقائع التاريخ الدالة على صدق نبوة الحبيب عليه الصلاة وأتم التسليم.

الكتاب بما رأيته رحلة ممتعة مع العقل والمناظرة وحجاج المخالفين، ولا بد لمن سلك سبيل الرد على الملحدين أن يكون له تطوافاً ولو يسيراً مع هذا الكتاب، فالشبه هي هي، وأصولها واحدة، وإن اختلفت ظواهرها.

جزى الله الأخ الحبيب على ما هيج من ذكريات مع هذا الكتاب، وما نصح به من أهميته وقيمته.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (١٧)

جزء فيه شرح حديث (حبب إلي من دنياكم..)

أبو بكر ابن فورك الأصبهاني رحمه الله تعالى

[٣١ يناير ٢٠١٨ - ١٥ جمادى الأولى ١٤٣٩]

بعض الكتب من كلام سلفنا الصالح وضعت على معنى الحب، وعلى معنى الغزل، وعلى معنى القلوب، تقرأ فيها فكأنك تعاشر نفساً تطرب، وحنايا بين النفوس تقيم ولا تذهب، فهو مطوف بك في معاني الذوق فوق ما تريده الكلمات، يحاول بها صاحبها أن يطير بها لا أن يعبر بها إليك، فأنت حينها لا يضرك إلا ضعف الكلمات في الإبانة عن الشوق، وعجزها عن كشف سر ما يحس وما يتلذذ.

إنها من معاناة الناس الذين يذوقون، تبقى كلماتهم الجميلة في أنفسهم، كلما جاءوا إلى الورق ليخرجوها استعصت وهربت، فهم دوماً مع هذا المعنى: إن أعظم كلماتنا تلك التي لم نقلها بعد.

مع هذا الجزء العلمي من كلام الإمام ابن فورك تأتي إلى رجل يذوق، ويعيش، يتحدث عن حبين عظيمين، وعن معنيين من معاني الوجود لا يدرى عنهما إلا أن تقف على شفا البئر منهم فتعب ولا تثمل، وتشرب ولا تتضلع، فأنت كلما أوفيت على شيء عظيم برز لك أعظم، وكلما التقطت صيداً قام لك أجمل، فيا لله كم يصنع الحب في هذا الدين من جمال، وكم يتلذذ أصحاب المعاني!

في هذا الجزء الرائع يعيش هذا الإمام مع جمالين، هما الجمال، ووسيلة للجميل، أما الجمال الأول فروعة الصلاة في قلبه، وتذوق معانيها الكامنة في جوهرها، فهو لا يتحدث عنها حديث الواصف الذي يراقب، بل حديث السابح في الجمال، والذائق لمعانيه، فهو مغمور في النور، مغموس في سبحاته.

وأما الجمال الآخر فهو حب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يرى رجلاً قد رعته العين الإلهية، لا يقيم شيئا في نفسه إلا بإقامة الله له، ولا يلمس معنى من معاني الوجود إلا من خلال المعنى الذي يحقق

له العبودية لربه، فهو إن أحب فبحب الله أحب، وإن رضي فبرضى الله رضي، وإن قرت عينه بشيء فلأن الله يريده منه.

كيف يعيش المرء بين رابطة الأرض وضروراتها، وبين صلة السماء ومغانيها، دون طغيان ولا ضعف، ودون هروب من ضرورة، ولا تقصير عن ارتقاء، تلك معضلة الحياة لمن فهم سرها، وأن أعظم ما فيها التعبد لرب العالمين، فهو يعيش جمال الأرض من ذوق نعيمها: حبب إلي من دنياكم: الطيب والنساء، ويعيش أعظم من ذلك مكبراً للعظيم، خاضعا لأمره، لا على معنى الغصب ولا على معنى التكليف، بل الكلف والحب والشغف: وجعلت قرة عيني في الصلاة.

هذا الجزء الرائع يشرح علماً عظيماً، ويجيب على أسئلة يرسلها الصديق والطالب ليجيب عنها العالم الذائق، فيذهب للنبع مستقلاً حمل الجمال، وحمل العلم، وحمل روعة الكلمات، وهذا البئر غزير العطاء، لكنه بعيد الغور لمعاني الخاصة، قريب العطاء لكل طالب.

ومع هذا الخليط من العلم، وهذا الذوق كان علماؤنا يصيغون كلماتهم وكتبهم، لا يتحدثون حديث العقل فقط، ولا حديث المطلقات فقط، بل يتحدثون حديث العلم والعقل والحب، فتأتي كلماتهم على استواء وتمام، يستقي منها السالكون لرب العالمين.

قال صاحبي: هذا عصر لخلاصة الكلمات! وقد صدق، فشكر الله له أن دلني على هذا الكتاب، الممتلئ حكمة وعلماً، ونفساً رائعاً، علمت منه كيف كانت صلاة القوم، وكيف ينظرون إليها في أنفسهم، وكيف هي وراثة الخير من رسول رب العالمين، وكيف كان هؤلاء القوم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، فيذهبون لكل لفظ يستنطقونه مقام الحبيب عند حبيبه: (**حبب إلي من دنياكم...**).

يا لله كم مر عليها من راو، وكم أسمعها واحد لآخر، وكم مرت على أذن، ولكنها مع هذا العالم الرائع نزفت جمالاً وعلماً وإيماناً.

ابن فورك رجل لا نعرفه اليوم ونحن الصغار إلا في عالم المتكلمين والمناظرين، فنرفع ونخفض، ونقيم ونجرح، ولكن مع هذا الجزء دخل إلى قارئه من عالم آخر، هي سمة الصالحين من سلفنا العظيم، تختلف كلماتهم، وتتحد أذواقهم، لأنهم أهل حب لله ولرسوله.

(من حق العلم مهما قهرنا هذا العالم بذوقه أن نقول له أخطأت في باب من أبواب الفقه عن القرآن، فحين يتحدث الذوق نسلم لهم، وحين تتحدث الكلمات يسمع، فيقال له أخطأت وأصبت، والله يرحمنا وإياه رحمة واسعة)

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (١٨)

الشمائل المحمدية

الإمام الترمذي رحمه الله

[٥ فبراير ٢٠١٨ – ٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٩]

هذا كتاب يستحق كلاماً كثيراً، ووقوفاً عليه كوقوف المطايا على باب حبيبة غيلان:

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا   على خرقاءَ واضعةَ اللِّثامِ

فهو حديث عن الحبيب المصطفى، وذكر الحبيب لمحبوبه لا يمل، وأعظم الناس حالاً مع الإيمان هم من وصفهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: (**من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**).

ومن صدق المحبة انشغال الحبيب بأخبار وصفات المحبوب، يجمعها ويراقبها، ويدرسها، ويفقه فيها حتى كأنه يعيش معها، وبهذا يحصل بعد ذلك الاقتداء، وأنت ترى اليوم من يعشق صورة، فيعلقها في صدر بيته، ثم ينهض لجمع أخبار هذه الصورة من شبح زائل من هنا وهناك، حتى يعرف عنه كل ما يمكن معرفته، ثم هو يقلده ويمشي على وصفه وأخلاقه وحياته، حتى كأنه هو، ومل فعل يقتدي به يزداد صلة معه، فهو في الابتداء يحب، وفي الأثناء يحب، وفي الختام يزداد حباً لمحبوبه، ويكون بينهما الاقتداء والتأسي والدخول في الصورة عملاً.

وقد ينشأ الحب من معرفة المرء بخصال محبوبه، وذلك لمشاكلة النفس للنفس، فالشجاع يحب أخبار مثله، وهكذا.

ومن أعظم قضايا النفس ضرورة وجود المثال المحبوب، ولا يقدر المرء على تخطيها، فهي فطرة من الفطر التي جبل عليها.

ولذك من الإيمان محبة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه كما في الحديث، وهذا الحب يصنع، ويجاهد لتحصيله، وأول سبل تحصيله وكسبه هو معرفة خصال هذا النبي العظيم كما هي، إذ كان هذا الباب هو من أسباب هداية الصحابة لهذا الدين، ثم تزداد المحبة بزيادة القرب له، والتعرف عليه، والانشغال بأخباره صلى الله عليه وسلم.

هذا الكتاب صنفه عالم جليل، ضرير البصر، لكنه مبصر البصيرة، جرى فيه على سنن العلماء في شغل الناس والمسلمين بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته، وما كان عليه من خلق جبلي، وصورة مختارة من الله، ثم ما عليه من سلوك وحياة.

شيخه البخاري كتب هذا في صحيحه، ثم أفرد للآداب النبوية كتاباً سماه: الأدب المفرد، وهذا الصنيع من أمثال هؤلاء العلماء مرده الرد على من قام بترجمة أخبار الفرس والهند وبسط أخلاقهم وحكمة أقوالهم، فكأنهم رأوا اختراقاً للغير لقلب هذه الأمة، بل هو الاختراق بعينه، فكان هذا التصنيف الأثري الحديثي ليبقي صلة الأمة بخلق إمامها، وهدي إمامها، وسلوك خاتم الأنبياء والمرسلين.

طريقة المحدثين من سلفنا في الرد على الاختراقات العلمية والنفسية لها مسالك متعددة، ومن هذه المسالك طريقة أهل الحديث، حيث يصنعون النموذج السليم كما هو، ويعرضونه كما هو، ويتركون للناس الاستقاء منه، والأخذ من درره ومعانيه، والناس في زمانهم يفهمون هذا، ويعلمون حكمته، وذلك دون أن يرفعوا شعاراً على كتبهم أنها رد على كذا وكذا، ومن تأمل تراجم البخاري مثلاً علم هذا الأمر جيداً، وكذا من قرأ كتاب الرسالة للإمام الشافعي علم أنه يرد على آخرين، وهكذا كانت طرائقهم تحمل الحكمة الخفية، فتسلك في الناس مسالكها الهادئة.

ولكن هذه الطريقة يفيد منها العلماء، ويعرف وجهها أمثالهم من الكبار، وقد تغيب على من بعدهم.

الإمام النووي ألف كتباً في الرد على الصوفية، وما كتاباه رياض الصالحين، والأذكار إلا رداً على الصوفية وكتبهم ومناهج تعبدهم.

تأمل كتاب رياض الصالحين تجد أن تراجمه تشارك تراجم إحياء علوم الدين في كثير من القضايا، وكأنه يضع الحديث مقابل فقه الصوفية الذي أحدثه الغزالي، هذا مع معرفة النووي فضل الغزالي الفقيه ولا شك.

وكذلك كتاب الأذكار هو دعوة تربية للمسلم من خلال الذكر النبوي، لا البدعي، فهي –أي أذكار النبي صلى الله عليه وسلم– هي أوراد الصالحين، وهي أحزابهم التي يداومون عليها، لا تلك الأحزاب التي أنشأها المتأخرون وعلموها أتباعهم.

كتب هؤلاء العلماء ككتاب الإمام الترمذي هذا لو فحصتها في نفس مصنفها لرأيت حباً للموصوف، ووقوفاً على هديه شغفاً وتتبعاً، فليست هي كتب رواية فقط، بل منبع هذا الجمع، وأصل هذا التطلع هو الحب القلبي، وهو أساس الإتباع، فلا تسمع لدعوى محب بلا اتباع، ولا تسمع لاتباع بلا حب، بل أمر القلب أولاً، ثم يأتي الإتباع، وقد يتأخر بعض الحب لجهل او مرض، فيصنعه الأتباع ويقويه، فهما كالدم للقلب، إذا قوي أحدهما قوي الآخر، يمد كل واحد مدده الذي يصلح غيره.

ليكن هذا الكتاب أنيسك الذي ترتاح على ضفافه، فتأمله في كل وقت، واشغل وقتك بالنظر فيه، وإياك وترك الاقتداء، ورحم الله الإمام أحمد حيث ذكر عن نفسه أنه لم يسمع بحديث قط إلا عمل به.

فتلك والله مزية تجعلك محشوراً تحت لواء الحبيب المصطفى يوم القيامة.

كليمة في كتاب (١٩)

لعنة وطن من حرب لبنان إلى حرب الخليج

كريم بقرادوني

[٧ فبراير ٢٠١٨ – ٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٩]

كيف يكون المفكر سياسياً وكيف يكون المفكر قائد حزب.

كريم بقرادوني يمثل في الطيف السياسي اللبناني هذه المعادلة، وهي معادلة في واقعها العملي تمثل نفاقاً وتستراً على القبائح السياسية والحزبية، فلا يمكن في الواقع اللبناني والعربي على الخصوص أن يكون الحزبي مفكراً، وأساس الفكر هو العدل والقيم، وهذا أمر غير محتمل ولا مقبول في المعادلة السياسية اللبنانية.

هذا المفكر أغمض عينه، بل أعماها عندما تحدث عن صبرا وشاتيلا، ولم تأخذ منه إلا كلمة واحدة فقط، وكأنها لمحة لضحكة استهزاء أو بسمة صفراء مرت على الوجه سريعاً وذهبت، ليس فيها الدم والقتل والظلم والفساد في الأرض، لكنه حين يأتي إلى اجتماع سياسي لا يتوانى في شرح أجوائه الليلية وحركات عيون أصحابه.

هذا أمر مقزز في نفس الأمر، ولكن من الغلط أن نطلب أخلاقاً في هذه البيئة العجائبية.

العجب أن الكتاب كله يسير في هذا الاتجاه، أقصد اتجاه الفعل السياسي العجائبي في بلد له تميزه في الحضور السياسي، في بيئة مختلفة عنه، ومغايرة لطبيعتها من جهة التركيب، ومن جهة السياسة.

عندما تقرأ هذا الكتاب تخرج من عالم البشر السوي، وتنتقل إلى عالم (زومبي) بامتياز، إذ يكشف لك الكاتب عن حقيقة ما يدور في هذا العالم، بشخوصه وتمنياته وصراعاته وتقلبات رجاله، هذا العالم الذي لا يراه الناس في ذلك الوقت إلا من خلال بسمات أهله في التلفاز أو من خلال خطبهم

السياسية الذكية، أو من خلال كلمات التحقق الأخلاقي الظاهر، وهي في حقيقتها –أي هذه البيئة– بعيدة كل البعد عن هذا.

هذه الفترة التي يتحدث عنها بقرادوني، والذي صار زعيم حزب الكتائب في فترة السيطرة السورية على لبنان غنية بأحداثها، وتنوع الممثلين فيها، ففيها حدث الاجتياح الإسرائيلي لبيروت، وفيها تم خروج الفدائيين منها، وفيها نشطت عمليات الاغتيال للرموز السياسية الكبرى في لبنان، وفيها وفيها..، ولذلك أعتقد أن قراءته واجبة لكل مهتم بالشأن السياسي لهذه الطبقة، وهذه الفترة وما وقع فيها.

يعجبك في الأحزاب السياسية قدرتها على استيعاب المرحلة من خلال تنوع رجالها الفكري، ففيها – أي الأحزاب– ما في قبعة الساحر، حيث يستطيع الحزب أن يخرج لك ما تحتاجه للمرحلة، وهذا نراه في الدول كذلك، ففيها التنوع الذي يسمح بالمناورة السياسية الملائمة للمرحلة.

البعض منا لا يحتمل هذا، لأنه يريد حالة ذهنية واحدة، تلتقي مع الشيخ حتى في أحلامه.

كريم بقرادوني عضو مهم في حزب الكتائب اللبناني، وهو حزب معروف التوجه، بل لا يخطئ المرء معرفة صيغته العقائدية، والتي أرادها المؤسس بيار الجميل، ولكن سمح لتوجه عروبي ما في نفس هذا الحزبي، أحتاجه يوما لمهمة إمرار الحزب من مضيقه لحظة غياب الظرف الملائم له، حتى إذا انتهت المهمة عاد الرجل للقواعد، بعيداً عن التمثيل والصدارة.

يذهلك الكاتب في وصف الشخصيات السياسية اللبنانية، وهو يتدسس إليها كاشفاً عن نفوسها، وقدراتها، وتقلباتها، وما فيها من تطلع، وما فيها من إخفاق، وكأنك في هذا الباب من الكتاب، بل هو في الحقيقة الكتاب كله، تعيش مع محلل نفسي، ودارس اجتماعي، ومحقق في الذوات والبشر، وهو يمرر فكرته في عرض الناس بذكاء، فقد يقذعهم في الطعن ولكن يحفظ باحترامهم، كأنه لا يريد أبداً أن يقطع العلائق معهم، ولا أن يشفي غيظه منهم، ولا أن يعريهم تعرية الخصومة المؤلمة، بل هو يفعل هذا كله بطريقة رجل سياسي، عالي المستوى حقاً في هذا الباب من تمرير الفكرة من خلال الحفاظ على خط الصداقة.

مع هذا الكتاب تكتشف سقوط المحرم في الفعل السياسي العربي، فلا موانع، ولا خطوط حمر، ولا شيء ممنوع، فلا خصومة أحد مع أحد، ولا صداقة أحد مع أحد، فسهل جداً أن يكون جعجع مثلاً متولياً أمين الجميل، وهو يشعر بأنه مستهدف من جهته، ثم في لحظة صغيرة ينقلب إلى عدو له، وثم تعجب أنه في هذه اللحظة الانقلابية تشتعل الأرض بالمعارك من خلال الأزلام الصغار والذين يظنون أن أسيادهم أصحاب مبادئ، وأن قائدهم يحقق مصلحة للبلد لا لنفسه ولا لحزبه.

لغة الكتاب لغة كاشفة عن نفس صاحبها، فهو وإن كان حزبياً لكن صفة السياسي قد غلبت عليه، فهو يعرف دوره متى يبدأ، ومتى يحتاج إليه، ومتى ينبغي له أن يتلاشى ويغيب، في انتظار لحظة الحاجة القادمة إليه.

كتاب صادم، مؤلم، يذهب بك لعالم المخلوقات القادمة من الفضاء، لأن كل تصور لهذا العالم دون أن تعرفه معرفة الحقيقة سيكون فاشلاً.

مع هذا الكتاب تعرف لبنان السياسي، الذي كان وما يزال، وتعرف من يمثل طائفته كما هي، ومن يمثل نفسه باسم طائفته، وكيف يمكن لكل ممثل أن يبسط سياسته على أرض الصراع والكذب والأحقاد.

تنوع صنع مجالات التبعية لكل خصم، والتعامل مع كل عدو، وتبرير كل سقطات الخيانة، وتسميتها سياسة.

كليمة في كتاب (٢٠)

هكذا تكلم زرادشت

فردريك نيتشه

[١٤ فبراير ٢٠١٨ – ٢٩ جمادى الأولى ١٤٣٩]

يعجبني عنوان كتاب الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء، فهو دال عما في نفس صاحبه أن أمتنا وحدها من تنتج النبل والنبلاء، وأما أدعياؤهم فهم مرضى عقل، ومفلوجو إرادة، يصنعون صناعة الوهم بلا حقيقة، ويصورون في أذهان الناس على غير واقعهم.

هذا الكتاب يجب أن يسمى كتاب الوهم، وهْم من أوله إلى آخره، أراد منه صاحبه أن يكون فارقاً في تاريخ البشرية، فأهل بلده يؤرخون لمولد النبي عيسى عليه السلام، والبشر يؤرخون لتاريخهم من قضايا الوجود الكبرى كما يؤرخ أهل الإسلام لتاريخهم بأعظم حدث في دعوة الحبيب المصطفى، وهي الهجرة النبوية الشريفة، وهذا الرجل الذي ولد مصدع الرأس، مريضاً بالزهري الوراثي (يا لبيت نشأ فيه، والذي كان فيه أبوه واعظاً بروتستانتياً)، ثم انتهى به إلى أن يحبس بسبب الفالج الذي أنذر بالجنون، مع هدية قدرية تلائم ما سعى إليه وذلك بموته مع مرض السفلس والذي هو نتاج قاذورات الخلق والبدن.

أراد معظموه أن يجعلوه قرين الأنبياء بهذا الكتاب، كما أراد صاحبه هذا، فأراد أن يخاطب البشرية معظماً إياها، وأنها هي كل شيء، وهي وارثة الرب خالق السموات والأرض، فأعلن بصلف موت الإله، وجعل كل شيء نسبي ولا حقيقة مطلقة، وأرد أن يصنع الإنسان الخارق والذي لا تحيط به سنن ولا تقدر عليه الأنواء.

من قرأ كتابه يرى أن نيتشه يغار ويحسد المسيح عليه السلام –كما هو في ثقافة أهل بلده– ويريد أن يكون بدله في التعظيم والوعظ ووضع الحكم، فلم يحصل على أي كلمة تعريف في حياته، بل عاش مجهولاً، وما انتشر ذكره إلا بعد موته، فقد صدح ذكره بعد وفاته (١٨٩٠) حتى كان خلال خمسين

سنة بعد وفاته هو موجه العالم المتمدن الجديد، يستشعر الشباب جنونه أنه حكمة، وأن وصاياه فقط يمكن أن تطلق قوى خفية في داخلهم.

تأمل قوله:

– ما هو الشيء الحسن؟ هو كل ما يزيد الإحساس بالقوة، أي إرادة القوة، أي القوة ذاتها في الإنسان.

– ما هو الشيء السيء؟ هو كل ما ينشأ عن الضعف.

– لأنك جعلت الخطر حرفتك، لذلك أدفنك بيدي.

– لصغار الناس صغار الفضائل، ولكني لا أعرف ما حاجتنا إلى صغار الفضائل.

مما قاله الأستاذ محمد قطب أن داروين هو أس مشكلة الفساد في الفكر الغربي، حيث جرد الوجود من كل العلائق إلا علائق المادة، فأفرزت رؤاه وفلسفته ومزاعم نظرياته كل الفلسفات المادية، ومن ضحايا هذه النظرية هذا المجنون نيتشه. (كان داروين يعاني مرض الأرق).

لقد تلفع نيتشه بنظرية التطور، فاشتق منها صعود الإنسان إلى صفات يتعالى فيها عن إنسانيته، ليصبح الإنسان الفذ الخارق.

هذا الكتاب (هكذا تكلم زرادشت) كتبه بصيغة وعظ، وبلغة شاعرية، وعلى طريقة الحكم، ومن هنا حصل لكتابه الانتشار ولفلسفته الحضور بين الشباب، فهو لم يتكلم باللغة الفلسفية التي قال بعض رجالها لما كتب كتابه: هذا الكتاب لا يفهمه إلا ... وأنا.

هذه اللغة الشاعرية والسهلة جعلت له إمكانية التغني والترنم، مع ما فيه من وهم إمكانية صناعة المستقبل دون شعور بقهر القدر عليه.

لم يحاول نيتشه أبداً أن يبدي دليلاً لكلماته، بل ألقاها كأنها حق وكفى، فخذها كما هي، ويكفي أن يقولها هو لتكون الحكمة التي أخطأتها البشرية حتى نطق بها هذا المريض.

لقد اشتغل بمناقضة وصايا المسيح كما هي في الإنجيل، وحرص على تعقبها، فهو مشغول بهوس وهذيان ليقيم لنفسه صرح الواعظ الجديد.

الإنسان الخارق، والعودة لشريعة الغاب، والتنازع ليحصل أفضل الخلق بوحشيتكم هي عماد كلمات هذا المريض، ومع ذلك تلقاها أناس حكموا بلادهم كهتلر، وأرادوا صناعة الوجود على وفق هذه الكلمات.

كان هتلر العنصري معجباً بنيتشه، وقد أهدى صاحبه موسوليني مجموعة فاخرة من مؤلفاته.

مات نيتشه وماتت وصاياه، وبقي منها شعور الغربي أنه متفوق فوق البشر، وأنه يرتقي في سلم الوجود والعالم كامن في خزيه، وبقي هذا الشعور في نفوسهم أن عالم الفضائل يصلح لجهل الشرق وضعفه، وأن هذا الغربي كلما احتقر كلمة "أخلاق"، وكلما تجاوز كلمة "فضائل" ومشتقاتها فهو متوجه بقوة وصواب نحو أهدافه بحكم العالم.

مما يؤسف له أن بعض أبناء هذا الدين حاولوا تقمص صورة وصاياه فلم يجنوا إلا الخزي، ولم تفدهم مشاعر احتقار الآخرين إلا احتقار الناس لهم، وما تحصلوا إلا ما تحصله سيدهم: مرض السفلس الجنسي، وعوارض جنون أقعدته في مستشفى المجانين خمسة عشر عاماً.

صحتين وعافية.

كليمة في كتاب (٢١)

سدهارتا

هرمان هسه

[١٥ فبراير ٢٠١٨ - ٣٠ جمادى الأولى ١٤٣٩]

الباحثون عن الحقيقة

هذه قصة رجل قلق، يبحث عن الحقيقة، هذه الحقيقة التي هي كامنة في أنفسهم فطرة خلقوا عليها، لكنها غابت وحورت وانطمست، فعاشوا قلق النفس والقلب والعقل، ومثل هؤلاء قليل، لأن الكثيرين تعجنهم الدنيا بصورها، وبهرجها وزخرفها، ثم تخرجهم يعيشون مع التيه، والنسيان، فيذهب الشوق للمعاني والحقائق، وقلة تبقى منصرفة لهمّ العلم بجواب السؤال الكبير: من أكون؟

هذا السؤال شغل سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، فذهب ينشد سبيل الوصول لرسالة الله له، يتقفر الواقفين على مجرى العلم بالنبوة، لا يأبه في حاله كيف يصير؛ عبداً يخدم الناس، أم فقيراً لا يجد قوت يومه، فهذه أشياء تافهة، تزول وتفنى، وأعراض تتحول، لكن الحقيقة هي الجمال.

على سنن البحث عن الحقيقة عاش مؤسس دين السيخ، المسمى غورو ناناك، يبحث عنها، ويسعى لطلبها، فوجدها كامنة في كلمات ودعوة الحبيب المصطفى، فوقف على بابها، ولم يكن بينه وبينها ليكون من أهلها إلا خطوة واحدة، لكن طول الرحلة لم تعلمه التواضع، ولم تعلمه الاستسلام للحق من غير هوى، فقد تكبر أن يدخل تابعاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فأدار ظهره وذهب بعيداً، يلتمس منه بعض ما يقول، لا ليأخذه من واسطة الحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن ليجعله من جهة نفسه هو.

إنه الهوى أعظم مانع من موانع اتباع الحق بعد معرفته.

هذا القلق لا يشعر به من رحمه الله فخلقه بين أبوين مسلمين، تسري مع فطرته كلمات أبويه وهو يسبح ويقرأ القرآن، ويذكر الله ويصلي.

لكن هذا القلق محنة غير هؤلاء ممن ينشأ في بيئة كافرة، تخط له كلمات الباطل ومعتقدات الشيطان، فحين يفكر، ويعرض على بقايا الحق من قلبه يضطرب ويعيش القلق.

سدهارتا هو بوذا، ليس كما هو، ولكن كما هو في عين هرمان هيسه، هذا الكاتب الألماني الذي ظنّ انه اهتدى للحقيقة، إذ تخيلها السكون بلا اعتراض، وذهاب الفكر مع الآفق بعيداً عن صخب من حولك، والذوبان مع اللاشيء بعيداً عن كل شيء.

صارت الحقيقة في نفسه مجرد طرح القلق والتفكر، وطرح معارضة الأقدار والأحداث.

انتهى في بحثه أن يقول راداً على كلمة صاحبه غوفيندا التي قال فيها: لكن أترى أن ذلك الذي تسميه الأشياء هو حقيقي وذو ماهية، أليس مجرد سراب للمايا، مجرد خيال وتراء؟ حجرك ونهرك، وشجرتك.. أهي حقيقيات؟

فيرد سدهارتا:

هذا أمر لا يعنيني كثيراً، هو الآخر، فلتكن هذه الأشياء ترائياً، فأنا أكون من ثم ترائياً أيضاً، وهكذا تظل هذه الأشياء أندادي أبداً...

فتأويل العالم وسبر أغواره أو احتقاره من شأن المفكرين الكبار، على ما أظن، أما أنا فلا يهمني سوى أن أقدر على أن أحب العالم. انتهى

عندما أقرأ هذه الكلمات وأمثالها من كلمات التصوف الفلسفي كما يطلقها ابن الفارض والمثنوي أتذكر فوراً كلمة لابن تيمية في رده على مثل هذه الكلمات، إذ يقول: هذه كلمات تطرب، لكنها في الحقيقة هذيان (معنى كلامه)

سدهارتا طاف متحسساً الحقيقة، فسلك كل ما صادفه من مذاهب، كمذهب اللذة، والذي هو دين أكثرية الخلق اليوم، وقبل اليوم، وتأمل المذاهب الفلسفية ثم انتهى إلى السكون.

هذا السكون هو مطلب المتصوفة حين قالوا: أريد أن لا أريد.

انتهى به وبهم إلى أن الذات الكامنة في نفوسهم بلا مطالب ولا تفكر ولا معاناة هي الحق، وكل شيء آخر هو ظلال لها.

هذا ما قاله صاحب الخيميائي باولو كويهلو، وذلك في رحلة طلب الكنز لصاحب قصته بعيداً هناك، يعيش صعوبة الرحلة ثم انتهى به أن الكنز في داخله، وتحت قدمه.

هذه كلمات الشعراء لا الحقائق، ونهاية الرحلة هو جني اللاشيء، فالحقيقة في فم الأنبياء، يعلمون الناس معنى وجودهم، وحقيقة مراد خلقهم، فيحسون برد اليقين والاطمئنان، لا هذا الشعور الخادع بأنهم مطمئنون.

موت الإرادة يعني تغييب حقيقتك، وموت النظر للواقع أنه يحتاج لصراع لتقويمه يعني تركه للأشرار ليصيغوه على ما يحبون.

العالم ليس فكرة، ولا كلمة، العالم حقيقة فيها قدر إلهي وشرع إلهي، ولا يستقيم هذا العالم إلا بتوافق ما قدر على ما شرع.

هذه القصة ومثيلاتها تصنع المتعة، وتصنع كذلك الوهم، نحبها لأنها شاعرية، ونطرب لها لأنها جميلة، ونستمتع بها لأنها تلاعب بالكلمات والكلمات فقط، ونحن أسراء طفولتنا، وتسعدنا مثل هذه البهارج الشقية.

حين أسمع لقسيس يتحدث عن الحب أضع يدي في جيبي مخافة السرقة، والأمر كما قال توتو (القسيس الجنوب إفريقي): أعطونا الإنجيل وأخذوا منا أرضنا.

الكلمات الجميلة تسرقك، وتلهيك لئلا ترى الوجود كما هو.

حين تقرأ سدهارتا، فاعلم أنك تقرأ كتاب شعر جميل، ورحلة رجل عاشق، لكن تذكر أن الحياة ليس فيها شيء من ذلك.

الجمال الحقيقي بين حدين:

- ﴿ٱقۡرَأۡ﴾

- ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب۩١٩﴾.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٢٢)

الشهادة

الشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله تعالى

[١٩ فبراير ٢٠١٨ – ٤ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

الإنسان موقف، وربما تختزل حياته كلها في هذا الموقف، وفي الحديث ما يشفع لهذا المعنى العظيم، فهذه امرأة بغي تسقي كلباً من العطش، فيشكر الله لها، ويدخلها الجنة.

مع المواقف العظيمة التي تعبر عن مكنون النفس وحقيقتها تذهب كل الهوامش التي تلتحق معها على غير أصلها، فأن يفرح الله لك في موطن من المواطن يعني أنه تقبل منك، ورضيك، وأحبك، فتدخل في معنى أهل بدر: (**اعملوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم**).

ولكن إياك أن تظن أنّ هذا العمل خارجاً عن نوع النفس التي اقترفته، بل هو من نوعها وطينتها وأصلها، وكما أن هذا في أمر النفس الطيبة فهو كذلك في النفس الخبيثة، فهذا رجل يتألى على الله تعالى، فيقول: والله لا يغفر الله لفلان، فيغضب الله عليه، فيدخله النار، ويغفر لصاحبه.

إنها المواطن الكاشفة عن مكنون النفس وحقيقتها، فلا تغرك كثرة العبادة دون النظر إلى نوع نفس، ولا تيأسن من دخولك على زمرة الأولياء بسبب غفلة أصابتك أو معصية ألمت بك، وانتظر دائماً فرصتك التي بها يرضى الله عنك ويحبك ويدخلك في خواص عبيده، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿**وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ١٩**﴾.

الشيخ صلاح أبو إسماعيل رجل بأمة، قام مقام الشهادة وقول الحق وأداء الأمانة، أحبه المجاهدون حباً ملأ عليهم القلوب، وسارت بذكره الحسن رياح الحب بين الناس، ذلك لأنه قال كلمة الحق في شهادته التي دعي إليها فيما يسمى بقضية الجهاد في العشرية الثامنة من القرن الميلادي المنصرم.

الشيخ في هذا الكتاب الرائع يحكي قصته الرائعة والصادقة في تاريخ كلمته وشهادته في هذه القضية،

كانت نتيجة هذه الشهادة التي قام فيها لله –نحسبه والله حسيبه– البراءة للمتهمين، وهي بإذن الله من عمله الصالح يوم القيامة.

وصف الشيخ حاله ومشاعره وهو يتقدم لهذه الشهادة : "وأحسست أنني بين الحق وتبعاته من جانب، والسلطان وما يملكه من سيفه وعزه وماله من جانب آخر، فقررت دون تردد أن أكون للحق وأن أتحمل تبعاته، ولا أبالي بسيف المعز وذهبه".

الطاغوت لم يسكت، ولم يستسلم بل كما قال الشيخ رحمه الله تعالى: "فراح يطلب من شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق رأيه في شهادتي، وجرد لي شيخ الأزهر خمسة من سيوفه البتارة:

- الدكتور محمد السعدي فرهود رئيساً للجنة الرد.
- والدكتور محمد الأحمدي أبو النور.
- والدكتور أحمد عمر هاشم.
- والدكتور مصطفى علوش.
- والمستشار عبد العزيز هندي.

أعضاء للجنة الرد على شهادتي، فكتبت هذه اللجنة تقريرها في خمسين صفحة فولسكاب وأرسلته إلى المحكمة"

هكذا هي سيوف الحق، وهكذا هي حشرجات الباطل.

يقول الشيخ غامطاً قيمة شهادته: "وكنت أظن أن الشهادة قد نسيت، ولكني وجدت مطالبة الجماهير في كل مكان تلاحقني بضرورة طبع هذه الشهادة".

إنها رعاية الله لكلمات الحق ومواقف الحق والصبر.

من قرأ هذه الشهادة وتأملها رآها من لسان رجل يفهم ما يراد منه، ويفهم كيف يدير معركته في ساحة تحتاج إلى حكمة القول وصوابه، ورأى كيف يضع الحق موضعه الذي لا يرده منصف.

لقد كان موقف هذا الرجل في شهادته سبيلاً لتحصيل مقصدها في هدم مراد الجاهلية إراقة دم الصالحين والعباد والمجاهدين، فأنقذهم الله من هذا المراد الخسيس، فالدعاء أن يكون مقام من أحيا الناس جميعاً بإحياء هذه النفوس.

كلمة العالم كلمة ثقيلة، يعدل ثقلها السماء والأرض، وتعطي ثمارها كأحسن ما تكون الثمار، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذويه.

لقد خرج الشيخ رحمه الله ورفع درجته في الصالحين من المحكمة بهتاف أهلها وراء القضبان حتى خرج منها مودعاً بها،

الشيخ لم يكن صاحب شهادة دراسية عليا، بل كما أجاب هو عن شهاداته الدراسية قائلاً: "أنا خريج كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، قسم الشريعة الإسلامية، وخريج كلية التربية للمعلمين بجامعة عين شمس، لكن إنما الكبير بموقفه لا بشهاداته".

كانت كلماته وهو يقول: "ليس بعد كلام الله كلام، وليس بعد حديث رسول الله حديث، وليس بعد إجماع العلماء حكم" رداً على من أراد أن يتخذ كلمات علماء السلطان وسيلة لنقض دين الله وتمرير الباطل.

لقد كان الرجل يفهم مهمته.

الكتاب ليس فيه الشهادة ووقائعها فقط كما نشر بعد ذلك، لكن فيه تقرير لجنة الزيف الأزهري التي ذكر الشيخ أسماء أعضائها، فقام جماعة من أهل العلم بالرد على تقريرهم، تراجع كلها في هذا الكتاب التاريخي لواقعة فيها جلال الحق وصدق الأمانة.

حين يقول العلماء كلمتهم تتعرى ألبسة الباطل القبيحة، وإن من معاول هدم الدين تلعب الفقهاء والعلماء بدين الله تعالى، ومسايرتهم أهواء الحكام، وتلعبهم بالدين من أجل تمرير شرور الشيطان.

قبل مدة كان أحد المشايخ على الراديو، فسئل مباشرة ليتكلم عن انتشار الخمارات ودور اللهو والدعارة في بلده، فرد بصلف وخيانة: هذه أمور كانت موجودة قبل تعييني في هذا المنصب!!!

إن تولي شباب الإسلام زمام المبادرة لقيادة التغيير سببه تلكؤ المشايخ من أخذ مقود القيادة للسير في سبيل تحقيق معالم الدين في الأرض.

هذا أمر ليس على إطلاقه، فإن في الزوايا خبايا، وفي الأمة خير عظيم، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة.

هذا كتاب يستأنس به السائرون أنك لست وحدك، وأن الحق لن يعدم من ينصره.

كليمة في كتاب (٢٣)

أسطورة العنف الديني "الايدلوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث"

وليام ت. كافانو

[٢٤ فبراير ٢٠١٨ – ٩ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

عبارة العلمانيين : أن الدين سبب العنف في الوجود، وبالتالي إبعاد الدين عن الحياة يصنع الألفة والسلام.

كافانو يسمي هذه الكلمة أسطورة، أي أكذوبة، وتوهم، ومخادعة، فيذهب للتاريخ ليستنطقه، وإلى الواقع يستعلمه، ليقول بأن الحداثة، والعلمانية التي هي أصل الحداثة هي تصنع العنف المؤلم والقاسي والمدمر كذلك.

هذا شيء بالنسبة لنا مسلمة قرآنية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾، ولكن هذه الأسطورة غالبة في الغرب، ومسيطرة على عقول المثقفين وكتاب الأعمدة في الصحف، وهي الأكثر تأثيراً في حياة الغرب، ويسوقونها لا لطرد الدين من حياتهم، فهو مطرود واقعاً، ولكن لنزع الإسلام من صدور المسلمين، ولتجييش السياسيين والعسكريين والخبثاء منهم للضغط على طواغيت بلادنا بنزع الدين ليتوقف الإرهاب، وعندنا ولا شك مجموعة من الجهلة الأغبياء، لو حبسوا مع الدواب لفرت منهم تقذراً وإباءً من أن يحشروا ويجمعوا معهم في قيد واحد، هؤلاء المجرمون يطيعون هؤلاء، فيبدأ القصف ضد الدين، بتعديل المناهج التربوية الخاصة لتدمير العقيدة، ويحبس العلماء المناوئون، وتراقب المسجد لمنع ما يسمونه الكراهية، وتفتح الأبواب للشواذ، وتشجع الرذيلة تحت اسم الفن، وتقيد كلمات الناس ضد مغتصبيهم وسالبي حقوقهم، وهكذا يقومون بأقصى أنواع العنف لإيقاف ما يسمونه العنف.

الدولة المعاصرة بقوانينها تمارس أقسى أنواع العنف وما يسمونه الإرهاب، وتحت اسم القانون وتطبيق الشرعية، والفارق بينها وبين خصومها في هذا الباب ليس سوى الألبسة فقط، ومنطق المنازعة والمدافعة تتخذه الدولة لسلب الناس وسرقتهم، وحبس الناس وقتلهم، كل هذا كذباً وزوراً يسمى القانون وحكم الشرعية.

الكاتب يلاحق أنفاس الشر في الغرب، ممن يمارس عملية التجييش وبث الكراهية ضد المسلمين من أمثال برنارد لويس، وهو الذي يصنع معادلة الغرب العلماني المتسامح، ضد الشرق الديني المتعصب الإرهابي، والكاتب يفكك هذه الأكذوبة.

ثم يأتي على غيره ممن يصنع هذه الثنائية الباطلة.

هناك تجييش كبير ضد الدين في الغرب، ليس ضد اليهودية، ولا ضد صورة المسيحية الساذجة، ولكن ضد اللاعقلانيين من المتدينين المسلمين، تفجرت هذه القضية بعد أحداث أمريكا وضرب البرجين والبنتاغون، وهي في حقيقتها؛ أي الحادثة إلا سبباً لتفجر ما في القلوب، وليست صانعة لهذه الكراهية.

هذا التجييش يقابله حشرجات تدافع بقوة ضد هذا الأكذوبة، منها ما يكتبه كافانو، ولكن هذه العقلانية التي يتبعها ضعيفة أمام السياسي والصحفي والعسكري.

هذا الغرب المتسامح، ليس كذلك، وهو مع نفسه ليس كذلك، ولكن تدبير شؤون الصراع على نحو ما غير المجابهة العسكرية هي التي أوحت بهذه الأكذوبة.

وهذا لا يعني عدم إمكانية العودة للصراع المسلح بين هذا المختلف من الغرب العقلاني العلماني.

بالنسبة لنا المسألة محسومة، فكل هذه الدورات التي تعلم كيفية مسخ الدين وتحويله لمشايخ الدجل مع القوات الأمريكية، وكل هذا الضخ القذر لفقه الذلة وعدم كره الآخر المشرك الذي يسب الله ورسوله، وكل هذه الدعوات القذرة لإزالة الفوارق بين المسلم والكافر، وكل هذا التزوير أن خصومنا بشر محترمين، وكل هذا السجن والقتل لكل من ينظر شزراً لعدونا يذهب كريح قذرة أمام صرخة شاب مسلم ضد دولة إسرائيل، وأمام صورة امرأة عجنها غبار طائرات إيران وروسيا والنصيريين في الغوطة في سوريا الشام.

نحن لا نحتاج مع كلمات القرآن إلا لهذه الصور التي تقتلنا لنعرف الآخر كما تسمونه هروباً من كلمة الشرك والكفر كما يطلقها القرآن.

وها هنا لا بد من رسالة: لسنا نعتب على عدونا أن يقتلنا، فهذا دينه ونفسه القذرة، وحقيقة وجوده ليسرقنا ويهيننا، والعتب ليس إلا بين الأصدقاء وهم أعداؤنا، ولكن القلوب ملآى على بني جلدتنا، ممن ينتسبون لأمتنا وهم كلاب حراسة لهؤلاء الكفرة المشركين.

من الخير أن يشكر كافانو، وهو يدافع عنا، ومع ذلك نرى بعض الطرابيش القذرة تسبنا وتلعننا، وتلتحق بالمشركين من أعدائنا.

كنا هذا نراه والأخوة في السجن، يخرج الشيخ ليزيد عليك الأكاذيب والتضليل، وتجد من غير بني جلدتنا وليس من أمتنا يصارع وهو يدافع عنك.

ومن التحدث بنعمة الله أن أرى اليوم هذا الخسيس المسمى بكمال الهلباوي وقد التحق بصف أعداء الدين، وهم يهينونه ويستقذرونه، وقد كان يستخدم لسانه الكاذب في سبه على المظلومين من المساجين من المسلمين، ويزعم أنهم مجانين.

اليوم لم يلتحق بصف من يقتل المسلمين في بلده، بل هو مع صف المشركين الزنادقة الذين يقتلون المسلمين في بلاد الشام.

للأسف هذه معادلة مؤلمة، لكنها الحقيقة، والله يرحمنا، وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**).

نعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى.

كليمة في كتاب (٢٤)

بين كتابين: **تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي** – للبقاعي

وتنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي للسيوطي

[٧ مارس ٢٠١٨ – ٢٠ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

ابن عربي الطائي المكي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية شغل الناس، واختلف فيه أهل الإسلام اختلافاً كبيراً، والأكثرون يقولون إن الفقهاء يغلب عليهم تكفيره وتضليله، والحكم عليه بالزندقة، والآخرون ممن يميلون لطريقة الصوفية، ويعملون بمذهبهم يحكمون بولايته، والمعاصرون ينقسمون فيه على طريقة التعصب للمذهب والطريقة، وبعضهم يسلك مسلك الجمهور والأكثر، فيجمع عدد القائلين ليرجّح، والناس لهم أهواء وميل نفسي أكثر من النظر العلمي الفقهي.

وهذان كتابان، أولهما كتاب البقاعي، وسماه بهذا الاسم الصادم القوي "تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي"، وهذا العنوان الشديد خففه محقق الكتاب عبد الرحمن الوكيل، بعنوان يسبقه: "مصرع التصوف"، وعبد الرحمن الوكيل كان رئيساً لجماعة أنصار السنة، وسبق أن كان متصوفاً، على طريقتهم، ويتحدث عن رحلته مع التصوف حديث العارف المعاني، وله مشاهدات لمشايخهم يصرحون فيها بالوحدة الشركية، القائلة بعدم التفريق بين الحق والخلق، وقد بينت مذهبي في تغيير عناوين الكتب، وأنه ليس مسدداً ولا صحيحاً.

البقاعي فقيه محدث، من تلاميذ ابن حجر، وصار كتابه هذا عنواناً لهذا الشيخ، فإنه جمع فيه أقاويل أهل العلم والفقهاء الذين حكموا على ابن عربي بالكفر والردة، وكان أشد ما في الكتاب : تكفير من حاول أن يؤول كلام ابن عربي الناطق بالوحدة المطلقة، ففي (ص١٣٨) جاء أن قاضي المالكية في زمانه محمد البسطامي الملقب بشمس الدين قال عن كلام ابن عربي: يمكن تأويله، فقال له علاء الدين البخاري الحنفي: كفرت. أي بمحاولتك تأويل كلام الكفر الصريح، وكان حاضراً لهذا المجلس جماعة من

أهل العلم من أساطين رجال المذاهب، فما ردوا بكلمة، وانتهى الأمر على العفو على البسطامي بشرط البراءة من اعتقاد الاتحاد، ومن طائفة الاتحادية، وتكفيره من يقول بقولهم.

في هذا الكتاب غير عرض أقوال الفقهاء في تكفير ابن عربي، ومن ذلك عرض أقوال الرجل، وخاصة من كتاب الفصوص، والذي زعم ابن عربي أنه أخذه من النبي صلى الله عليه وسلم كشفاً، وأداه كما أخذه عنه.

من الأقوال التي ذكرها عن ابن عربي:

القول بالوحدة المطلقة، وأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق.

القول بإيمان فرعون، بل بسبق إيمانه على إيمان موسى، ومعرفته مقدمة على معرفة النبي عليه السلام.

عدم افتراق الناس في الإيمان، بل الكافر والمؤمن حال واحد.

القول بالتثليث كالنصارى.

وأمور أخرى خطيرة في بابها.

جاء السيوطي بعد البقاعي ليبرئ ابن عربي كما هو العنوان، وهكذا يظن الناظر لظاهر العنوان دون الدخول في جوفه.

السيوطي يعرض أقوال الناس في الرجل، ويأتي بمن حكم بولايته، مع أنه يذكر في المقدمة افتراق الناس فيه، لكنه -أي السيوطي- وهو الفقيه، لم يقدر على تأويل النصوص، ولم يعدل كتب ابن عربي، فحكم على ابن عربي بالولاية، وحكم بمنع قراءة كتبه!

هذه ثنائية "عندي" إرضائية فقط، إرضائية للنفس في الميل والهوى، وإرضائية للنحلة والمذهب، فهو الفقيه الذي لا يستطيع الانسلاخ من هذا الإهاب، وهو الذي لو نوقش في كلام ابن عربي في فصوصه والفتوحات المكية لبان لكل فقيه أنها الكفر الصريح الذي لا ينتطح فيه عنزان، ولكن للسيوطي هوىً آخر غير عقل الفقيه.

في كتاب آخر للسيوطي وهو "التحبير في علم التفسير" يحكم على ابن عربي الطائي بالبدعة، وعلى كتابه الفصوص بالكفر الصريح، إذ قال ص ٥٣٧: ويحرم تحريماً غليظاً أن يفسر القرآن بما لا يقتضيه جوهر اللفظ كما فعل ابن عربي المبتدع الذي ينسب إليه كتاب الفصوص، الذي هو الكفر كله. انتهى.

ما يحاوله الصوفية ومن على نحلتهم، ومن هو على هوى مخالفة بعض أهل العلم وبعض الأسماء المعينة يجتهد في درء تكفير ابن عربي، وأهم وسائلهم في ذلك:

أولاً: محاولة تأويل كلامه، حتى لو خرجت عن حدود العقل.

ثانياً: دعواهم أنّ ما في كتب ابن عربي وأمثاله مدسوس عليه.

وهاتان وسيلتان اتخذهما السيوطي في التبرئة.

والمنصف يعلم أنّ القوم من أحباب ابن عربي يقولون بقوله في الوحدة المطلقة، وتتخذ دعوى الدس من أجل العوام، والتقية، والتقية دين الصوفية، تغنوا بها حتى ثملوا، وإذا كان الأمر كما يقولون من الدس، فلماذا لا تحمل هذه الكتب التي امتلأت بالكفر والزندقة فيعلن للناس كفر ما فيها.

أما القول: إن هذه عبارات لا يفهمها العلماء، فالجواب: لا خير في علم لا يفقهه الفقهاء، ولا يعلمه العلماء، وشرط الرقية أن تكون بالعربية، وأن تكون بكلام مفهوم، يمكن للعالم أن يحكم عليه.

كتاب البقاعي نموذج من حرص العلماء على عقيدة المسلمين، وعدم الخوف من إطلاق حكم الله تعالى على من يستحقه، ودال أن بعض الناس يركب شره وشيطانه ويأبى اتباع العلماء في قول الحق في رموز النحل الدخيلة على الإسلام.

هذا الجمع الغفير لعلماء المسلمين الحاكمين على ابن عربي بالزندقة، أو على كتبه بالضلال والتخريف يعني أن سلف هذه الأمة يقولون الحق ولا يخشون سلطة العوام، فابن عربي له سلطانه على العوام، وله قبر يزار ويحج إليه، وما زال الناس يفعلون معه هذا.

زعم من زعم أنّ ابن تيمية هو المناوئ الأكبر للصوفية زعم باطل، وفي هذا الكتاب إبطال هذا الزعم، فهو لم يذكر ابن تيمية إلا في سياق مساوٍ لبقية أهل العلم في حربهم لكفر هذا الرجل.

هذا الكتاب –كتاب البقاعي– مرجع جامع لبعض أسماء الكتب التي سلكت مسلك النصح للأمة، وفيه الجمع الكثير في الباب المطلوب.

كتاب السيوطي لا يستطيع الوقوف أمام حقائق كتاب البقاعي، ويكفي أنه حرم النظر في كتب ابن عربي، وأما الحكم بولايته فهذا يوجب جمع ما كتب الناس من سيرته وحياته، ومن قرأ كلام الناس في هذا رأى ما لا يقوى لتحقيق هذا القول.

لا تقرأ كتاباً منهما حتى تقرأ الآخر، وفي ذلك تتعلم النظر وتدريب الحكم على الرجال والمعاني.

كليمة في كتاب (٢٥)

انتقاض الاعتراض

ابن حجر العسقلاني رحمه الله

[٩ مارس ٢٠١٨ - ٢٢ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

حين تقرأ لزاهد الكوثري عليك أن تستخدم المهدئ، لأنك عرضة لارتفاع الضغط من ظلمه وإجحافه وتعصبه، وأنا لا أظن أنه في تاريخ المذاهب ورجالها يوجد من هو أكثر تعصباً لمذهبه مثل زاهد الكوثري الحنفي، فالرجل حين يكتب ينسى العلم والتاريخ والإنصاف، ولو أراد أحد أن يقذف الشافعي كما قذفه بالطعن الكوثري في ترجمة محمد بن الحسن الشيباني فلن يستطيع، ولو أراد أحد أن يقذف ابن حجر العسقلاني فوق قذفه في ترجمة البدر العيني لما استطاع، فزاهد الكوثري أعجوبة في هذا الباب لا يسبقه أحد.

ابتداءً فإني أطلب من كل طالب علم يقرأ كلماتي هذه أن يدلني على كتاب واحد ألفه حنفي في فضائل الأئمة الثلاثة، ذلك لأني –ومع عدم استقصائي التام– لم أجد عالماً حنفياً كتب في فضائل غير أبي حنيفة رحمه الله كما كتب رجال المذاهب الأخرى، فالباقلاني وابن عبد البر ويوسف ابن عبد الهادي والسيوطي وابن حجر الهيتمي وغيرهم من رجال وعلماء المذاهب غير الأحناف كتبوا مصنفات خاصة وعامة في فضائل الأئمة من غير مذهبهم، ولا نجد هذا عند علماء الأحناف، والدخول في أسباب هذه الظاهرة يطول، ولكنها ظاهرة ولا شك في تاريخ المذاهب الفقهية السنية.

حين تقرأ كتاب ابن حجر في انتصافه من بدر العيني، والذي لاحقه في مصنفه الشهير "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، فأظهر بعض سطوه على ما كتبه في "فتح الباري"، وأظهر خطأ وظلم مراجعته لما كتب، والتاريخ يثبت مقالة ابن حجر فيما كتبه من تظلم ورد الظلم، ولكن زاهد الكوثري لا يرضى هذا، بل ذهب في الطعن في ابن حجر ظلماً وعدواناً.

لا بأس أن يذكر أن ابن حجر أخذ بعض الفوائد من العيني، لصغر سنه كما ذكر في ابتداء تلاميذه، وحين يؤلف المرء سيرته وعمن أخذ فإنه ربما ذكر تلاميذه كذلك، لكن لماذا هذه الأحكام الظالمة:

– وتعصب ابن حجر على البدر ينجلي بصورة بعيدة عن الذوق في أدوار حياته.

– ولعل سبب ذلك –أي تحامل ابن حجر المزعوم– أنه نشأ على الأدب، وعلى معاناة المديح والهجاء، وعلى ذلك شب ودرج، ولا تسل عمّا يجري إذا كان هناك شيء يمس التعصب المذهبي.

– وابن حجر مع جلالته مقداره في العلم له تراجم في معاصريه ومن تقدمه من شيوخه وغيرهم خطة عجيبة في التحامل.

أما حين أتى على المقارنة بين شرحه للبخاري وشرح ابن حجر فإنه أطلق قلمه يقصب في ابن حجر كما يشاء، ويرفع من شأن العيني وشرحه ما يشاء، ثم ختمه بقوله: ويجد فرق ما بينهما فرق ما بين البدر والشهاب، ويحكم للعيني بأنه هو القائم بقضاء هذا الدين –دين شرح البخاري– بلا ارتياب.

ويقول: لكن الظاهر أن للعيني الحظ الأوفر في ذلك –أي التقدمة والبروز في العلم– عند من أنصف ولم يتجبر.

ما يراه المرء من تعصب البعض لمذاهبهم فإننا ما زلنا نشهده اليوم، بنفس الحال والأقوال والمواقف، للرجال والمذاهب والأحزاب، ولو رأى المرء سوء التعصب في غيره على ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره، لابتعد عن هذه الخصلة المذمومة، والتي من مساوئها ضياع العقل والدين والعدل، وفساد النفس واللفظ والرؤية.

ثم إن واقع القدر لم يخضع لكلام هؤلاء ولا لتقريراتهم، فأين مقام "فتح الباري" منذ أن كتبه وانتشر وشاع بين الناس، ومقام "عمدة القاري"، فإن رفعة الأول لا يجهلها أحد، ومقامه لمن تأمله وأنصف قال فيه الحق والعدل والإنصاف، ولم ينفع الكوثري شيئاً كتاب العيني، بل هو من كتب أهل العلم، ينتفعون به، ولكنّ لا يجعلونه في مقام الفتح قط.

من قرأ كتاب ابن حجر "انتقاض الاعتراض" وتأمله أنصف ابن حجر، ورأى فوق ذلك أدباً جماً، وتواضعاً طيباً، وتعقباً عادلاً، وتعلم منه كيف ينتصف المرء لنفسه بالعدل ولا يثرب، ويقول الكلمة الطيبة باللفظ الطيب، فرحمه الله رحمة واسعة.

في زماننا هذا يوجد من يريد إحياء جهالات التعصب، ويتعامل مع الناس والعلماء والجماعات على هذا السياق المذموم، أي على طريقة أسلافه من المتعصبين أمثال الكوثري، وهؤلاء في واد والأمة في واد، وما ذكرت هذا الكتاب، وهذه الكلمة إلا تذكيراً بالعدل، والحكمة، ووجوب ترك التعصب، والسير على منوال من أعذر العلماء، وأحبهم، ورآهم على خير من السنة والحق، يخطؤون ويصيبون، ويقولون ويرد عليهم بعلم وإنصاف، ومن أنصف سار على دربهم.

رحم الله الأستاذ المعلمي، والذي انتصف بحق وعلم وعدل من الكوثري وهو يصف تعصب المتأخرين بقوله: هذا التقليد الذي نرى عليه كثيراً من الناس منذ زمن طويل، الذي يتعسر أو يتعذر الفرق بينه وبين اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله. انتهى.

كليمة في كتاب (٢٦)

وقفة مع اللامذهبية في شبه القارة الهندية

محمد أبو بكر الغازيفوري

[١٢ مارس ٢٠١٨ – ٢٥ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

ألف رجلان هما سيد طالب الرحمن، وأبو حسان الأنصاري كتاباً بعنوان "الديوبندية، تعريفها وعقائدها"، واتهم الكاتبان أتباع المدرسة الديوبندية الحنفية الماتريدية بتهم شنيعة، أقبحها تزلفهم للبريلوية، هذه الفرقة التي انشقت عن الديوبندية، وبقيت على حنفيتها، ولكن شطت بعيداً في أقوال هي الشرك بعينه.

هذا الكتاب دفع مؤلف "وقفة مع اللامذهبية" لتصنيف هذا الكتاب، رداً على هذه التهمة الخطيرة وتهم غيرها.

هذا الكتاب يقدم له شيخ ديوبندي آخر، هو نور الدين نور الله الأعظمي، والحق أن المقدمة صادمة أكثر من الكتاب، وإليك السبب:

هناك ثلاث شخصيات مهمة، تعتبر ممن أرسى الدعوة لترك المذهبية، والالتزام بالدليل، هم:

صديق حسن خان، وهو رجل معروف بين طلبة العلم المعاصرين، لاهتمام كثيرين بنشر تراثه، والذي أراه قليل الإبداع الذاتي، إذ عامة كتبه مسلوخة من شيخه الشوكاني، ينقلها بلفظها، ثم يكتب عليها اسمه، وإن شئت الدليل فعليك بالمقارنة بين كتابه "الروضة الندية شرح الدرر البهية"، وبين كتاب الشوكاني "الدراري المضية شرح الدرر البهية"، و"الدرر البهية" هو متن فقهي للشوكاني كذلك.

أما الرجل الثاني فهو الشيخ نذير حسن المدني والذي يسمونه شيخ الكل في الكل!!! وهو رجل قليل الحضور خارج القارة الهندية، والقليل من أهل العلم من يعرفه ويعرف كتبه.

وأما الرجل الثالث فهو تلميذ الشيخ نذير المدني الدهلوي وهو الشيخ محمد حسين البتالوي، وهو أشد غربة من شيخه خارج القارة الهندية.

الصراع بين المقلدين الأحناف الماتريدية، وبين دعاة عدم التقليد شديد في تلك الديار، وكل يستخدم أدواته في الانتصار من خصمه والظهور عليه، بل هناك الكثير من تجاوز العدل في هذه الخصومة، والكلمة القليلة هذه ليست للفصل بينهما، ولا لإعلان انتصار أحدهما، فكاتب هذه الكلمات يستفيد من كل كلمة قالها عالم، ويغض الطرف عنه في خصوماته ضد المخالفين له في منهجه وطريقته.

لكن هناك أمر هو دافع هذه الكلمة، وهو صادم للبعض حقاً، وهو أن دعاة اللامذهبية كما يصفهم مقدم الكتاب كانوا من أحباب الإنجليز، وممن مدوا لهم يد الصداقة والود، بل وجالوا وصالوا ضد أي حركة جهادية أو معارضة ضد الاحتلال الإنجليزي للهند!!

حقاً هذا أمر صادم، ومؤلم، وكأن الحركات الإصلاحية في أبواب العلم كانت غير طاهرة في باب تولي المستعمر والتماهي معه، لا يعني هذا جميعها، بل يعني أن رفع لواء الكتاب والسنة ومعاداة المذهبية والصوفية ليس عاصماً من انحطاط الفهم والموقف مع أعداء الله تعالى، وهو أمر يظنه البعض حادثاً جديداً فيما يراه من قبول من يسمى بالدكاكين السلفية مطايا سافلة لطواغيت مرتدين.

حقاً، إن الأمر ليس جديداً، وعلى المرء أن لا يحسن الظن بدعاة العقيدة السليمة في لفظها، والخاوية من جوهرها في البراءة من المشركين وسلطانهم.

هناك كتاب لصديق حسن خان اسمه "ترجمان الوهابية"، تكلم فيه بكلام خطير، وصادم.

يقول فيه: "ولا يكون ناقماً على الحكومة البريطانية ومبغضاً لها إلا من يبغض الحرية المذهبية، ويتقيد بمذهب خاص متوارث أباً عن جد." انتهى.

وهو كلام فيه التزلف للبريطانيين بصورة بشعة مستقبحة، لا يحب المرء أن ينساق مع نفسه في الحديث عنها.

ويقول: "إن استقلالنا هذا عن المذاهب المروجة إنما هو عين المطلوب والمراد بقوانين الدولة البريطانية". انتهى.

أتركك معها دون تعليق.

وحين قام الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي بإعلان أن الهند دار حرب تحت الحكم البريطاني، يرد عليه صديق حسن خان بقوله: "وإنه لا يجوز للمسلمين أن يخالفوا الحكومة، وأن حالة الهند الموجودة لا تبيح لهم أن يشكوا في كونها دار أمن وسلام، ودار إسلام". انتهى.

وأما الجهاد ضد الإنجليز، فيقول فيه: "ولما ثبت أن هذه البلاد بلاد إسلام وداره، فما معنى الجهاد فيها! بل من نوى الجهاد في مثل هذه الدولة فإنه قد ارتكب كبيرة من الكبائر"!!!!! (علامات التعجب مني). انتهى.

ويذهب محرضاً ضد الأحناف، جامعا بين جهادهم ومذهبهم في عين المحتل الإنجليزي قائلاً: "إن محاولة الجهلاء بحكم مذهبهم!!! ودينهم، في محو الدولة البريطانية والقضاء عليها وسعيهم في أن يذهب الأمن والأمان، ما هو حاصل اليوم بسبب فسادهم الذي سموه جهاداً، إنه من الحماقة البالغة ومن الجهل الشديد". انتهى.

أما الشيخ نذير المدني، فإن موقفه في إعلان الجهاد سنة ١٨٧٥ ضد الإنجليز كان عجباً، إذ اجتمع العلماء على توقيع وثيقة فتوى، فيها الجهاد ضد الإنجليز، فطلب منه التوقيع أسوة بغيره، فرد عليهم : "لم يكن ذلك جهاداً، إنما هو شغب وشر وفساد"، وتابع قائلاً راداً على طلبهم التوقيع منه: "فنحن لم نوقع على تلك الفتوى فضلاً عن نختم عليها بختمنا".

ومن علله في تحريم الجهاد قوله: "ونحن المعاهدون!!! وقد عقدنا العهد مع الحكومة (أي الإنجليزية) فكيف نخالف هذا العهد، وقد ورد في الحديث ذم كثير لنقض العهد".

كانت النتيجة أن قلد الإنجليز الشيخ لقب: شمس العلماء!!!

وكذلك كان موقف الشيخ الثالث كسابقيه إن لم يكن أسوأ، فانظر إليه وهو يتزلف للحكومة المحتلة الكافرة: "أي فرقة في علمنا ليست هي أشد إخلاصاً ونصحاً للحكومة (الإنجليزية) ونشداً للأمن والعافية، وأشد تقديراً لنظام الحكم البريطاني وسياسته، وأعرف لمنتها وجميلها من الفرقة التي هي فرقة أهل الحديث والسنة، والتي لا تقلد مذهباً خاصًا". انتهى.

ويتابع تزلفه:

"ومن أقوى الدليل وأنورها على كون فرقة أهل الحديث مخلصة ووفية للحكومة البريطانية أن هذه الفرقة ترجح وتؤثر إقامتها في ظل هذه الحكومة على إقامتها في ظل الدول الإسلامية، وقد قررنا هذا بشهادات تاريخية". انتهى.

هذا بعض ما يكشفه الكتاب، والرجوع إليه يصنع الإنصاف في الحكم على مواقف العلماء من نوازل العصر وقضاياه.

القذارة السياسية ليست ضرباً لازماً لمذهب، ولا لتشقيقات كلامية، فالصوفية مطايا الطواغيت، وكذلك السلفيون، وفي كلتا الطائفتين من هو مجاهد، يبيع نفسه لله، فالعلم له حقه، ومواقف الشهادة لها حقها.

هي كليمة، وإلا لأفاض المرء الكثير في هذا الباب، ولكن في الختام: أستغفر الله تعالى من ذنوب الجهل التي عاشها المرء في صغره، يظن أن الشعارات عاصمة من السفالة.

كليمة في كتاب (٢٧)

المقصلة وجواسيس الشاباك اليهودي

الأسير القسامي عبد الله البرغوثي

[١٨ مارس ٢٠١٨ – ٢ رجب ١٤٣٩]

رصد التحولات الاجتماعية مهمة عظيمة، وبها يتم التعامل الصحيح مع الواقع، وفهم النفوس وتحولاتها، وما هي المؤثرات في التوجيه والتغيير، والذين يحكمون على المجتمعات كرقم ثابتة يخطؤون، وتفشل تجاربهم التغييرية، والذين ينجحون في ثوراتهم التغييرية هم من يرصدون الظواهر النفسية والاجتماعية، ويعرفون دوافعها، ومكامن التأثير في النفوس والمجتمعات، فالبداية تكمن في رصد المعاني الاجتماعية والنفسية المؤثرة، ثم الانطلاق منها، وذلك لصناعة نفوس جديدة، وظروف أخرى تصلح للنصرة والتأييد، وبهذا يتم التجييش والتنظيم الذي يصنع التغيير.

الرصد لا يعني الوقوف، ولكن يعني التأثير والتغيير، وهذه مهمة الدعاة والمجاهدين، فهناك عملية دائمة من الرصد والتأثير.

هناك من مشايخنا من يتعامل مع المجتمعات بمدح مطلق، أو ذم مطلق، فهم بين مندفع في اتجاهه الفكري الخاص به، وهناك من هو مقيم على شط اليأس والقنوط، وكلاهما يظن أنه يتعامل مع قطعة حجر صلبة، لا يمكن تحويلها، ولا تغيير اتجاهها.

هذه قضية لو جمع فيها بعض الباحثين أقوال اليأس من المشايخ، أو أقوال المدح المفرط في المجتمعات لتكون لديه صورة قاتمة عن فهم التحولات والتغيير الاجتماعي والنفسي، ولرأى بوضوح كمية الفجأة التي تنتابهم عند حدوث الوقائع التي تخالف نظراهم وتحليلاتهم.

عندما قرأت لغسان كنفاني "عائد إلى حيفا"، صدمتني الرواية، لأنها كشفت تحولاً خطيراً في بنية النفس العربية الفلسطينية نحو العدو اليهودي الصهيوني، وذلك بسقوط جدر الكره والمفاصلة والبراءة.

العيش في داخل الآخر، ونفسيته، وتفكيره، وهمومه وقضاياه يعني انسلاخك من ذاتك وقضيتك.

العربي صار يهودياً.

ما حاوله النصراني الشيوعي اليهودي، صاحب "المتشائل"، أميل حبيبي هو صورة قذرة من صور تبرير تحولات الحالة بين الذئب والضحية.

تحول الضحية إلى متعاطف مع الذئب، يعني أن العربي الفلسطيني صار يهودي الهوى والجنسية، بل واللغة.

ماتت الفروق، وانتهت الحكاية بأن صار الكل خادماً للشيطان.

تبرير هذه التحولات تصنع من خلال واقع دسم الدلالات أن المقاومة لعبة يتخذها الخونة لصناعة المجد الذاتي، وأن الآخر الذي نموت من أجله ليس أحسن حالاً من المحتل الغاصب.

إذاً: لماذا نموت ليحيا الطاغية، ولماذا نعرق لتنتفخ جيوب اللص، ولماذا نعيد فلسطين ليحكمها الأوغاد والعملاء واللصوص؟؟!

هؤلاء يلعبون في الليل على جراحاتنا، فلماذا لا نؤدي نحن هذا الدور؟!

هكذا تبدأ سلسلة التغير والتبدل، بل والعمالة.

الكبار هم كذلك، فلن أذهب رقماً في رصيدهم، بل سأذهب مباشرة إلى سيدهم، سيد التاريخ المعاصر!

هذه الرواية التي كتبها الأسير القسامي عبد الله البرغوثي، وهو بنفسه رواية عجيبة، تروى لسمر الليل وصناعة البطولة، وتزيل –أي روايته الذاتية– رطوبة الجنوب الطرية المائعة، أقول: رواية المقصلة، هي رصد لظاهرة انقلاب المرء من صف (نحن) إلى صف الآخر، عميلاً خسيساً، متماهياً بعواطفه معه، ولا يحتاج إلى من يقنعه بهذا التحول سوى رصده لظاهرة الوسخ الكبير، والمتمثل بالسياسي القائد، والذي باع الوطن والأرض والعرض.

لماذا أموت؟!

ولماذا أقاتل؟!

ينشأ هذا السؤال التبريري للسقوط بعد أن يخون الكبير.

حينها يذهب للسقوط والتغير.

هذه ظاهرة تنشؤها النفوس التي لا تذهب للقضية إيماناً بالله ولذكرى الدار الآخرة.

وهي ظاهرة تحصل عند من لم يعلم حقيقة الراية التي يجب أن يقاتل تحتها.

هذه وضعية دعاة الوطنية، تلك الكلمة التي صنعت لتطمس معالم الإيمان والشهادة، ولتصنع بطولات الكذب من خلال رموز الرجال الساهرين مع الكأس اللعين المملوءة بخمر الخيانة والدنس.

تكرر هذا الحال منذ حروب الاستقلال إلى محاولات استقلال من بقي جعلت الناس يذهبون مباشرة لبيع النفس لكل دافع، يعني صناعة الجاسوس.

هذا منطلق رواية عبد الله البرغوثي، لكن هل ذهبت القصة أكثر من ذلك، كما هو المطلوب؟

وقفت القصة عاجزة عن متابعة هذه القضية إصلاحاً وتنويراً، لكنها ذهبت نابشة في تطورات هذه الظاهرة، وإلى أي مدى يمكن حفر هذه الظاهرة في المجتمعات.

كمقاوم، ورجل جهاد، أي البرغوثي، ساقته الرواية مرغماً لبطولة إسقاط الجواسيس، وتعقبهم والقضاء عليهم.

في الحقيقة هذه الخاتمة ليست واقعية، أي إلى يومنا هذا، فما زال هؤلاء هم القادة، وحالهم من يصنع الجاسوس، بل هم مادته ورجاله وكباره.

الذي حدث أن الناس يحاولون إصلاح الراية، وإصلاح النية، وما زال الطريق قائماً، وفيها من الأوساخ ما يحتاج لجهد كبير.

لست معنياً أمام رواية مقاومة، أن أتكلم كثيراً عن الناحية الفنية فيها، فمجرد وجود رواية مقاومة يعني الكثير، وتستحق الشكر والتنويه.

كليمة في كتاب (٢٨)

عقيدة "السلفيين" في ميزان أهل السنة والجماعة

محمد بوالنيت المراكشي

[٢٨ مارس ٢٠١٨ - ١٢ رجب ١٤٣٩]

الأستاذ الشاب الشهيد، نحسبه والله حسيبه، محمد بوالنيت له حق في رقبة من عرفه وعاشره، ومن قرأ كتبه أن يعرف به، وينشر ذكره وعرفه، فهو رجل حمل فكراً كبيراً، وعقلاً سابقاً على غيره، ومن رأى ما كتب ظن أنه لو عاش طويلاً لأتى بالسابغات العلمية الكبيرة من التحقيق والفهم والفوائد، ولكن قاعدة الطواغيت دوماً: الصغار ينسون والكبار لهم القبور، ولذلك عاجلوه، فقتلوه، بل عذبوه حتى مات، ثم حملوا جثته الطيبة فألقوها في طريق صحراوي بعيد.

هذا الشاب المغربي العالم لم يكن يملك إلا القلم، ولم يكن عنده القلم إلا أمانة يؤدي حقها، فلا يلقيه ليصدأ، ولا يؤجره لينحرف، بل والله قلّما رأيت عقلاً مستقلاً مهتدياً كعقله في هذا الزمان من الشباب والباحثين.

كان له عقل وقلب، عقل يبحث ويتقصى، وينظر ويراجع، وقلب معلق بالشرع وهدايته، فلا يزيغ زيغ من سلك طريق الوعي على العقل المجرد عن الهداية، فهو شاب تخصصه في الفلسفة، يبحث فيها، ويسير في دروبها، ويتقفر معالمها، لكنه لا يلقي زمام قيادته إلا لهداية الشرع ونوره.

كان خياره أن يكون سنياً أثرياً قحاً، لا يداهن، ولا يتجمجم في بيان ما يؤمن به.

ينصحه أستاذه الجامعي، وهو أستاذ فلسفة مشهور، وإسلامي النزعة والمشرب: لماذا هذا الاختيار... يقصد الجهاد والتوحيد السني؟!!

كان يغض الطرف حياءً من أستاذه، فلا يجيبه، بل يمضي في طريقه كاتباً، محققاً، مهتماً بملاحظات النفس والعقل.

لقد عرف الطاغوت في بلده سر قوة العقل، وأنه هو الأخطر، وأن صناعة العقول هي الأهم في سبيل نهضة الأمة وتحقيق وعد الله بالنصر، فعاجله بالتعذيب حتى مضى إلى ربه، نسأل الله أن يجعل مقامه في الشهداء، وفي الفردوس الأعلى.

هذا الشاب لا ينبغي أن يغيب عن عقل طالب العلم، ولا على السالكين للتغيير مع وعيهم وعقلهم واتباعهم، بل يجب حضوره بالدعاء والتذكير به كما يذكر الكبار ويتخافت بذكرهم الأحبة.

هذا الكتاب، "عقيدة (السلفيين) في ميزان أهل السنة والجماعة"، طبع بهذا العنوان الصادم، ثم طبع بعنوان آخر بعيداً عنه، وفي حياته باسم "عقيدة أدعياء السلفية"، وقد علمت منه أن لم يرضَ بهذا العنوان الجديد، والذي به اشتهر، وللشيخ رحمه الله وتقبله في الصالحين تبريره:

فهو يرى أن اسم السلفية اليوم فاقد لمعناه اللغوي والتاريخي، بل هو اليوم صار علماً على طائفة محددة، لها شيوخها، ورموزها، ومؤسساتها، واختياراتها الفقهية والعقدية، بل ولها مسالكها في التميز من جهات أخرى كثيرة، كاختياراتها في الأسماء والأحكام، بل والمواقف الحزبية والسياسية.

هذا الواقع يعني أن السلفية (طائفة) جديدة، وتصر على سرقة هذا المصطلح، وتصر على قصره عليها دون غيرها، إذاً، فليكن لها ما تريد، ولنتعامل معها كجماعة حادثة، وبهذا المصطلح، مع إقرارنا بأنه مسروق .

الأستاذ في هذا الباب يرى غنيمتهم له، ويذهب بعيداً عنهم في منازعتهم له.

فليهنؤوا بهذا الغنيمة، ولنذهب نحن في مناقشة دينهم وعقائدهم على ميزان مستقر وأقوى، هو مصطلح أهل السنة والجماعة.

الناشر للكتاب باسمه الجديد "أدعياء السلفية"، ذهب إلى كل كلمة في الكتاب فيها لفظ السلفيين، فأبدلها بكلمة "أدعياء السلفية"!! والسبب أن الناس لم يسلموا لهؤلاء (الطائفة، أو المتجر، أو المؤسسة) بهذه الغنية، ذلك لأن لهذا الاسم تاريخ من الصراع، وتاريخ قديم، له عبقه ومعناه الصحيح الذي يمنع عندهم إطلاقه على همج كذابين جهلة.

لا شك أن هذا الاسم له عبقه، وله معناه المحترم، ولكن لا شك أن قريشاً كانت تنتسب لدين إبراهيم عليه السلام، والقرآن يقول: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾.

إقرار اللص بما سرق يؤلم النفس، ولكن المشكلة في توابع هذا التنازع، فالشيوخ والدعاة الأكثر هم في حضن هذه الاختيارات المنحرفة، ومن خالف فيها منهم خفف وطأتها، وبرر وأول وجهها، فالجماعة يرقع بعضهم لبعض حتى خرجت الفتوى صارخة أن فلاناً مبتدعاً بدعة عظمى هي بدعة الإرجاء، ومع ذلك يبقى في داخل المتجر يسرق ويتلعب ويزور، ويقتات من هذا المصطلح الجليل.

ما العمل إذاً؟

هناك من حسم اختياره، ورحل بعيداً عن هذا المصطلح، لأن واقعه مشبوه وقد قذره أصحابه، وهناك من بقي يؤكد أن السلفية منهج وليست رداءً يلبس من قبل الناس، فيستدفئ به المبتدع، ولذلك ستبقى معركتنا مع خصومه، حتى مع المتلبسين به كذباً.

الأستاذ محمد بوالنيت يناقش رموزاً ضالة في مسألة الإيمان، ويكشف عوارها وكذبها، ويبين خلافها مع عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو كتاب جيد في هذا الباب.

في ظني أن سبب هذا الاختيار من قبله في موضوع الاسم والمصطلح هو واقع المغرب الذي عاشه، وأن هذا المصطلح صار وسماً بلا مثنوية على قوم، ولم يعش المغرب في ظني، وأرجو أن يصحح لي العالمون بالأمر إن أخطأت، أقول: لم يعش المغرب فتنة انشطار السلفيين، أو فتنة البحث عن السلفية، ومعناها الصحيح، بل ربما وصلت إليهم اليوم محددة المعالم من خلال رموز اختارت وجهتها على معنى من الغلط في انشقاق السلفيين.

وللتنبيه فأنا أعلم انشطار السلفيين الجرثومي، وتفرقهم في كل البلاد شذر مذر، يلعن بعضهم بعضاً، ويقذف بعضهم دين بعض، ولكن أقصد محنة الاختلاف بعد التشوف في المراحل الأولى.

في المشرق عاش الشباب فتنة البحث عن الوجهة السلفية الصحيحة في أبواب متعددة، منها موضوع الإيمان، وتنزيل أحكامه على الواقع والنوازل والناس والأحداث، ولذلك بقي كل جماعة تدعي أنها الأحق بهذا الوسم الجميل.

هذا جزء من محنة هذه الأمة في خروجها من التيه.

رحم الله محمد بوالنيت، والذي خسرناه، فرحل جميلاً يشكو إلى الله إجرام من عذبه وظلمه.

كليمة في كتاب (٢٩)

قصتي مع الحياة

خالد محمد خالد

[١ أبريل ٢٠١٨ - ١٦ رجب ١٤٣٩]

بعد أن تقرأ هذا الكتاب تصطدم بكلمة واحدة، تجبه مسراك رغم أنفك: التيه.

قصة حياة هذا الرجل الأزهري تمثل قصة جيل (مشيخي) فرّغ من علم قويم، ومن درب سنني سليم، ومن رؤية مهدية بالشرع، فخرج هذا الجيل حاملاً زقوماً، ينثره بالقلم، فيسبغه في الكتب والمقالات والخطب.

لعل ثاني كتاب اشتريته في حياتي بعد قصة أرنست همنغواي هو كتاب "من هنا نبدأ" لخالد محمد خالد، وما أن انتهيت منه حتى علمت أن الشيخ محمد الغزالي رد عليه في كتاب "من هنا نعلم"، فسعيت للبحث عنه في الرصيفين المعلومين لي ببيع الكتب، فقرأته، وتبينت لي محنة الفكر حول إسلامية الدولة.

أستاذ الفلسفة الشيوعي، ومدرسها في الجامعة، وقع بيني وبينه حوار طويل حول حق الشرع بحكم الدولة، فرد عليّ بأن الشيخ الأزهري خالد محمد خالد يرى أن سلطان الإسلام على الدولة لا دليل عليه، فرددت عليه أن خالد محمد خالد تاب عن كتابه "من هنا نبدأ"، فرد عليه: هكذا كبار السن يتوبون عند اقتراب الموت خوفاً من الموت وما بعده!!

عند بداية الالتزام، والنفس متطلعة لكتب الشرع، شغفت بكتاب "رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد، وقرأته مرات ومرات... أتقول عشرين مرة مثلاً، أقول: بل أكثر، ثم هجرته، وكم من مرة أعود إليه لأحس ما كنت أحس به في قراءاتي الأولى له فلا أراه شيئاً.

وشأني مع أصحاب الكتب التي أحبها أن أتطلع لسيرة أصحابها.

وخالد محمد خالد وجد كثيرين يتكلمون عنه، يسبونه، ويقدحون بتوبته، ولم يكن هناك من علاج لمعرفة شأن الرجل والخروج من التناقض إلا أن تقرأ سيرته، وهكذا كان، ومن قديم وسنين طويلة خلت.

حقاً، حين تقرأ مذكراته تأسى له، وتعلم أن الرجل فاقد للبوصلة، وأما زعمي لأستاذ الفلسفة أن خالد تاب من غيه في موضوع الدولة، فلست مخطئاً، ولكني لست مصيباً كذلك.

كانت صدمتي وأنا أفتتح قراءة هذه المذكرات إشادته بتلاميذ له، صنعهم كتابه "من هنا نبدأ"، ذلك الكتاب الذي جرى على منوال "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق، من أمثال شاكر النابلسي، وهو رجل تصاب بتلبك معوي، وقشعريرة تدفعك للهروب بعيداً عن موطن ذكره، ومع ذلك يصفه بالأديب الباهر، ويشيد بكتابه (أعوذ بالله) "ثورات التراث"، وأنه سار فيه على منوال "من هنا نبدأ".

ووجدت في بداية المذكرات ما هو صريح بموقفه من الكتاب، إذ وصفه بأنه أحب الكتب إليه، هذا مع ما ذكره في آخر المذكرات بالإنتاج الوسخ الذي أنبته هذا الكتاب، وكيف صار نموذجاً للتخفي تحته بالباطل، وهو ولا شك يحاول أن يتنصل من قاذوراته، ولكن تأبى عليه نفسه أن يتوب توبة الصدق، فيسر ويخفي، ويتقدم ويتراجع، وهو عالم بأن هذا الكتاب هو من صنعه، لا أنه صنع الكتاب.

لا يخفي خالد محمد خالد أنه كتب الكتاب ليشتهر، بل لم يشتهر الكتاب إلا بعملية تسويق قذرة، مارسها باقتدار، وهو يعترف بلسانه أنه مارسها، وصاحب فكرتها.

طلب خالد من صديق له أن يرد على الكتاب بأقذر الكلام، وذلك بعد أن نشره فلم يحفل به أحد، وهكذا كان، فكانت الأصداء، وكان أسعد لحظات حياته أن صودر الكتاب، فصار طلبه ملحاً، فكانت شهرته.

صناعة الضجة، بالكذب، والأسماء المستعارة، وادعاء الصدى، وكل ذلك أكاذيب كهان.

في رحلته مع كتابه الثاني لم يفلح بما أفلح به مع الأول، فحزن، واعتبر أن سكوت الخصوم عنه مؤامرة صنعوها حتى يموت وينسى.

هكذا نفوس هؤلاء القوم.

يحبون الشهرة بسب أمتهم، وبقذارة ألفاظهم، وبصدمة مغايرتهم للسائد، وكلما رأوا أن الناس لا ينتبهون زادوا العيار، حتى يسبون الله والرسول، وهم في كل هذا يبحثون عن شهرة الأعرابي الذي بال في ماء زمزم وقت الحج ليشتهر ذكره بين الناس.

أما أن الرجل يعيش التيه، فلا يمكن أن تعرف هذا المعنى إلا بقراءة المذكرات، فتراه كيف يتقلب بين الأحزاب، والأفكار، والمواقف، وتراه كيف يحاول جاهداً الخروج من أزهريته، ليكون شيئاً آخر، وكيف يرغب بأن يكون صديقاً لسيد سابق ومحمد الغزالي، ولآخرين من الضفة المقابلة، أوسخها عبد الله القصيمي الملحد، والذي يفتخر صاحبنا هنا أنه عرض عليه كتابه "من هنا نبدأ" فمدحه وهش له، وشجعه على نشره.

مع هذه الذكريات ترى كيف انتهى الكاتب إلى الحيرة، وإلى الاضطراب، فهو يقدح في شخوص مجدها، وليتك تنظر إليه وهو يعتذر اعتذاراً بارداً على مقال له في يوم موت أخبث رئيس مر على التاريخ المعاصر من كل وجه: جوزيف ستالين، بعنوان "طبت حياً وميتاً يا رفيق".. أستغفر الله رب العالمين.

الرجل مسكين يريد أن يكون كل شيء، شيخاً، وسياسياً، وعلمانياً، وديمقراطياً، واشتراكياً، بل يحب أن يدعى يوماً أنه من أوائل بناة جماعة الإخوان المسلمين، ومع ذلك هو الصوفي الذي بلغ أعلى مقامات الولاية، وحصل له الكشف مراراً، وصار يستطلع المغيبات بالرؤى والعرفان.

وهو كذلك السياسي، والفيلسوف، وكل شيء، فانتهى إلى لا شيء، ولم يبق له من ذكر إلا من جهتين: علمانيون يستشهدون بأنه الأزهري الذي أصل لهم معارفهم في نقد الدين، كما فعل شاكر النابلسي، وبعض المبتدئين الذين يقرؤون كتابه "رجال حول الرسول"، فيسعدون بها.

(هذا المقال يحتاج لمقالات حوله ليتم معناه، ولكن هذا باب كليمة فقط).

كليمة في كتاب (٣٠)

إذا هبت ريح الإيمان

الشيخ أبو الحسن الندوي

[٣ أبريل ٢٠١٨ - ١٨ رجب ١٤٣٩]

هذا كتاب يُحب صاحبه، ويُحب من كتب عنه، ومن عنوانه تذهب إلى رحلة تعود منها بحمل الحب والامتلاء.

أبو الحسن الندوي رجل أدب فوق أنه رجل تفسير وعلم وفكر، وهو رجل ذواقة لفاعلية الإيمان في الحياة، وفيه شغف لرجال الإيمان في تاريخنا، ترى كل هذا في كتبه، ولا أظن أن كتاباً له لا يحسسك بهذه المعاني فيه، وهي خصلة يكاد يختص بها إذا كتب وإذا خاطب.

الشيخ رحمه الله يعرف تماماً بما تحصل الفاعلية في الوجود، وبما يدخل المرء سلك التجديد والتغيير، وبما يحصل على وسام ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾.

إنه يذهب لداخل المرء، من محبته للآخرة، وعمله بالطاعات السرية، وتعلقه بالقرآن، وإخباته في صلاته، وتواضعه مع إخوانه، ودوام ذكره لربه.. هذه وما كان في معناها تشغل عقل الشيخ رحمه الله إذا تكلم عن رجل أو خبر، أو علق على قضية.

في كتابه المتعدد "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، هذا نظره وهذا ميزانه، وفي ترجمته للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي لمقدمة حياة الصحابة، وفي تقديمه لكتاب الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في شرحه على الموطأ،، وفي رسائله الكثيرة، وفي أخباره لرحلته الطويلة للشرق، بل والمتعددة، تراه يذهب لما ذكرت لك.

تزكية الذات هي محط نظر الشيخ، وبمقدار تحصيل المرء لمعاني التزكية يحصل له القبول في الأرض.

الآن سيقول البعض: لكن، وأنا أعلم مئة "لكن" بعد هذا الكلام، ولكن أقول لك: دع "لكن"، ومئات "لكن"، واهتم بهذا الجوهر النفيس في رحلتك مع الله، ورحلتك للدار الآخرة، فما من أحد كتب مثلما كتب الشيخ، وقال كثيراً كما قال، وصنف كما صنف إلا ولحقته "لكن" هذه، إنما المهم ما قبل "لكن"، هل الأصل هو الخير، ثم "لكن" التي هي لازمة للبشر، لأنهم يخطؤون، أو أن الأصل هو الشر، وبعض الخير يلحق ببعد "لكن"؟؟.

هذا الكتاب "إذا هبت ريح الإيمان"، تأمل هذا العنوان الرائع، واذهب ببصرك بعيداً فيه، ورده على لسانك كثيراً، فإن لم يقشعر بدنك فأنت مريض.

إذا هبت ريح الإيمان...

مع هذا العنوان ترى عالماً يسير ويفعل ويغير، وترى رجالاً تنبسط لهم الأرض طولاً وعرضاً لاستقبال خيراتهم وزرعهم، ثم أنت ترى حركة وصخب، هذه الحركة تقضي على الإيمان السكوني الذي يعيشه إيمان الهنادكة الذي غزى التصوف الهندي، فجعل أعظم فاعلية إيمانهم هو: أريد أن لا أريد.

هذا إيمان فيه هبوب، وهذا الهبوب فيه فاعلية النهي عن الفساد، والقضاء عليه، ولا يقبل مساكنته.

في هذا الكتاب قصة الشهيد أحمد عرفان، وصاحبه الشهيد محمد إسماعيل الدهلوي، رجلان لهما قصة هي العجب، وإرادات تطاول الجبال، مبعثها الإيمان بالله وحب الدار الآخرة، في غمرة شر متواطئ من كل باب:

صوفية فاسدة، ملأتها معالم الجاهلية، من شرك وسكون وتواطؤ مع الشر الداخلي والخارجي.

وتفرق أمة، شرط دخولها مسمى الأمة لتقود العالم أن تكون متحدة.

وعدو غازي، هو قليل، لكنه بدخول الطوائف الجاهلة والكافرة معه صار كبيراً، فهو يستخدم آخر جندي عميل معه للوصول إلى أهدافه، إنه المجرم البريطاني، أو قل الإنجليزي فهو أصوب.

وأعداء داخليين من هنادكة وغيرهم، هي فرصتهم لأخذ القيادة من ملوك المسلمين.

وملوك مسلمون رأوا مصالحهم بالتواطؤ مع العدو الخارجي.

كان همّ هذين الرجلين إصلاح الإيمان، فكتب الشيخ محمد إسماعيل الشهيد، رفيق أحمد عرفان كتاباً هو من أفضل الكتب في بابه "تقوية الإيمان"، وكتاب "الصراط المستقيم"، وغيرها، وله "رد الإشراك والبدع.. عبقات في الفلسفة والحكمة".

قال عنه الشيخ الندوي في تقدمة كتاب "تقوية الإيمان" الذي ترجمه الشيخ إلى العربية نقلاً عن الشيخ محسن بن يحيى الترهتي: كان أشدهم في دين الله، وأحفظهم للسنة، يغضب لها، ويندب إليها، ويشنع على البدع وأهلها.

ويقول عنه الشيخ أبو الحسن هناك: كان كالوزير للإمام، يجهز الجيوش، ويقتحم المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد في بالاكوت.

هذا الشيخ هو حفيد العلامة شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى.

أما ترجمة الإمام العظيم أحمد بن عرفان البريلوي الشريف الشهيد، فتستطيع قراءتها في مقدمة كتاب "إذا هبت ريح الإيمان"، وهي مأخوذة بحرفها من كتاب والد الشيخ أبي الحسن الندوي "نزهة الخواطر"، وأنعم به من كتاب.

هذه الهبة الإيمانية كانت كإشراقة الصباح، تأتي لترفع أقواماً، ولتضع آخرين، ولتقوم سوق الإيمان، فتكون سبباً لنيل الشهادة ورفعة المقام، وتكون سبباً للحوق الخزي بأقوام.

في مثل هذه الهبات يكون عبق الإيمان الذي يأتي في سياق غلبة الكفر وزمانه، ليحصل فضل أهل الأخدود، لا يذهبون له استسلاماً، ولكن جهاداً وتضحية، فتقوم الحجة، وتتواصل سيرة الصالحين، ويقع اتصال السند بين سلف عظيم وخلف من معانيهم تحصل له العظمة.

في مثل هذه الإشراقات لا يسأل عن النتائج الدنيوية إلا من ضعف نظره، وخف دينه، ذلك لأنها رحلة إيمان في زمن الجاهلية، فمعيارها معيار الإيمان فقط، وذكرى الدار الآخرة، وحصول النذارة للوجود.

نعم، لا يعدم المرء الدارس من معاني الظاهرة كفعل بشري يقوم، فيدوم لأسباب، ويفشل لأسباب، فهذا مطلب سنني عظيم، لكن الأمر عند البعض هو جلد وتقزيم وتحطيم لظاهرة الفعل الإيماني، والذي

يأتي في سياق غلبة الجاهلية ليحقق معانٍ ربانية، ليس فيها إلا معنى الصبر واليقين والثبات، والتي هي أبواب دخول الجنان، مطلب العبد وحبه وشغفه ورغبته.

هذا الكتاب لا يحسن نقل اختصار له، لأنه كتاب كتب على معنى الحب، وفي لغة الحب، وحين يكون الأمر كذلك، فإن أي خبر يساق بلغة أخرى يفقد معاني صاحبه، والشيخ أبو الحسن ذكر في بداية الكتاب أنه أحب أن يكتب سيرة رجل عظيم بلغة شريفة، تشغل الروح قبل العقل، وتسرق القلب قبل الفكر.

والعبد ينصح أن يشجع الشباب على هذا الكتاب، لأنه يصنع صور البطولة الإيمانية، مع عقل يعي كيف يسلك سبل الجهاد، فيعتبر مع شغف، ويفكر مع تعلق.

رحم الله عظماء هذه الأمة، من صنعوا التاريخ، نحبهم لفعلهم، وغفر الله لناقليه ليحفظ ويروى.

كليمة في كتاب (٣١)

شرح دعاء السحر

الخميني

[١٢ أبريل ٢٠١٨ – ٢٧ رجب ١٤٣٩]

الصوفية دين اخترق ويخترق كل الأديان، ولو درسه المرء بعيداً عن الأزياء الإسلامية الملحقة به لرآه على حقيقته كما هو عند أصحابه المؤمنين به، بعقيدته التي يؤمن بوحدة الوجود، وبطريقته وهي طريقة العرفان والشهود كما يسمونها.

في التاريخ الإسلامي تجد الفيلسوف الصوفي، والرافضي الصوفي، والدرزي الصوفي، والفقيه الصوفي، بل والسلفي الصوفي كأبي إسماعيل الهروي، والإباحي الصوفي، والنصراني الصوفي، واليهودي الصوفي، فالصوفية دين يسمح لأهله اجتماع كل هذه التناقضات، وذلك تحت جواز المخالفة بين الظاهر والباطن، ولعقيدة التقية، والتي هي أصل دين الصوفية.

هنا نموذج لعرفاني رافضي، وهو آية الله الخميني، يشرح تجلياته وكشوفه من خلال كتابه "شرح دعاء السحر".

دعاء السحر منسوب لعلي رضي الله عنه، ولا شك في كذب هذه النسبة، فألفاظه ليست على سنن الصحابة في دعائهم ونجواهم.

في هذا الكتاب الذي نشر في حياة الخميني، كشف العرفاني الصوفي الرافضي عقيدته الحقيقية، أي الباطنية، مع بقاء عقيدته الكلامية الظاهرة، هذه العقيدة هي وحدة الوجود، والتي تعني أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ولا بين المقدس والمدنس.

هذه العقيدة الباطنية يلبسها الخميني لباس الرفض والتشيع، فهو يقول: "فحفظ مقام الكثرة في الوحدة، والوحدة في الكثرة لم يتيسر لأحد من الأنبياء المرسلين إلا لخاتمهم بالأصالة، ولأوصيائه بالتبعية". (ص٢٣-٢٤).

وفي هذا النص استطاع هذا الرجل تفسير العقيدة الصوفية من خلال العقيدة الرافضية.

فهو يقرر عقيدة الوحدة، ويقرر العمل بالظاهر، وهو الذي عبر عنه بالكثرة، أي إن مظاهر الواحد كثيرة متعددة، بل ربما متعارضة، يعني هناك حلال وحرام، وشر وخير، وحسن وقبح، ثم جعل تحقيق هذا المعنى بمعناه الأجلى والأقوى في شخص الرسول (نعوذ بالله من نسبة الكفر إليه) وإلى آل البيت كما يراهم في معتقده.

طريقة هذا العرفاني طريقة السلوك في المقامات، وليست طريقة الفلاسفة، ولذلك هو يقول: "واعلم أن السالك بقدم المعرفة إلى الله لا يصل إلى الغاية القصوى ولا يستهلك في أحدية الجمع، ولا يشاهد ربه المطلق إلا بعد تدرجه في السير إلى منازل ومدارج ومراحل ومعارج من الخلق إلى الحق المقيد، ويزيل القيد يسيراً يسيراً، وينتقل من نشأة إلى نشأة، ومن منزل إلى منزل حتى ينتهي إلى الحق المطلق". (ص٢٦-٢٧).

خلال السير الصوفي يقع للرافضي الصوفي تجليات خاصة بمعتقده، ومن ذلك ما يعتقده الكثير من الصوفية، وهي ما يسمونه الحقيقة المحمدية، ومعناها أن مادة الكون هي من نور محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه كرافضي يخلط الحقيقة المحمدية بآل البيت كمكون واحد، ويستشهد لهذا بحديث عندهم عن كذابيهم: قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟ فقال: يا مفضل، كنا عند ربنا ليس معنا أحد غيرنا، في ظلة خضراء نسبحه ونقدسه". (ص٣١).

المرور في عالم التجليات وقف عنده الخميني طويلاً، وأسهب في شرحه، وهو في هذا كأنه لا يعاني مع خصم في إثبات الحقيقة الواحدة، ولكن يحب أن يسمع الآخر تجربته، وأنا لا أشك أن تعاطي الخميني للحشيشة أعانه على شرح وإدراك هذه التجليات، فالصوفية استخدموا الحشيشة لبلوغ ما لم يستطيعوا بلوغه عن طريق الرياضة الصوفية الشاقة من السهر والجوع والعزلة.

من مفردات الرافضي الصوفي أن تجليات الحسن لأسماء الله وقعت على آل البيت، فتحت عنوان: الموجودات كلها أسماء إلهية يقول: "سلسلة الوجود ومراتبها ودائرة الشهود ومدارجها ودرجاتها كلها أسماء إلهية". ثم يورد نصاً رافضياً فيه أن جعفر الصادق قال بعد قراءته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قال: نحن والله الأسماء الحسنى". (ص٨٤).

يتمادى الخميني في شرح الوحدة المطلقة، ويكثر فيه من ذكر ما يسموهم العارفين من أئمة الرفض الصوفي، ومن ذلك قول بعضهم: "العالم خيال، فلا ظهور إلا ظهورها، ولا شأن إلا شأنها". (ص٢٠٨).

ومنها: "إن لنا مع الله حالات هو هو ونحن نحن"، وفسرها الخميني بقوله: "إنها إشارة للكثرة في عين الوحدة، والوحدة في عين الكثرة" (ص١١٣).

خلال الكتاب كله وفي كل ثناياه يشرح الخميني طريق الوصول، وهو التخلي عن الشهوات والذات، ومقاومة رؤية النفس، وذلك للوصول والشهود، والتحقق بالوحدة، ومن علم سيرة الرجل العملية، واستطلع خبره من خلال معارفه علم تلبس الرجل بالشهوة حتى غمرته، وعاش الكبر والغرور حتى الثمالة، مما يدل إن هذه الحالة إن شهدها الخميني كشفاً وعرفاناً إنما هي خيالات ككل خيالات الصوفية، ودعاوى كاذبة ككل دعاواهم، إذا لا يعلم عنهم إلا ولوغاً في الشهوات، وإعراضاً عن ترك المحرمات، وهم في ذلك يسيرون على وجه التحقق أن الأسماء موانع عن رؤية الحقيقة الواحدة، فلا يوجد حلال ولا حرام، ولا شر ولا خير، إذ كلها مظاهر لحقيقة واحدة.

الصوفية ركن من أركان الفساد العقدي والسلوكي في جسد أمة الإسلام، ومن الخطأ الظن أن التصوف حالة تقابل بالدعاوى والشعارات، إذ الكثير من دعاة الإصلاح يحملون الكثير من فيروسات التصوف وتجلياته.

كليمة في كتاب (٣٢)

مذكرات موشى دايان

[٩ مايو ٢٠١٨ — ٢٤ شعبان ١٤٣٩]

هدية إلى أخ يشعرك دوماً أنه ما زال لك في هذه الحياة بعض أنفاس

يمكن للمرء أن يقول الكثير عن شر هذا الرجل، وعن إجرامه كونه عدواً لأمتنا، ولكن ليس لهذا السبب تقرأ الكتب، ولا من أجل ذلك تناقش، إنما تقرأ للعبرة والعظة والفهم، ويمكن أن يصدقك العدو فتنتفع، ويكذبك القريب فتخسر، وهذا شأننا مع قادة هذه الأمة منذ أن دخلنا طور الدولة القومية، ثم القطرية، ثم الجهوية، لا يفتحون أفواههم إلا بالكذب، ولا يقدمون لأمتهم إلا الخيانة، ولا يصدقون في أي كلمة يقولونها، هذا إن تكلموا مع الأمة، لأنهم حين يتكلمون يتكلمون للاشيء، فقط لتخط كلماتهم في الصباح على واجهات الصحف، أو تتغنى بها وسائل الإعلام، باحث الشعب عن ورقة أخرى فيها ذكر الأموات لينشغل بها، أو مقالة غريب يحدثنا عن بلادنا وما يجري فيها.

لا يوجد مذكرات رجل سياسي صادقة، هذه قاعدة نافعة لك حين تسير في دروب التاريخ المعاصر، ولكن يمكن لك أن تجمع الكثير من الأخبار الحقيقية من خلال خصومات القرناء وأصحاب المذكرات، فتوازن، وتدقق، وتختبر.

هذه مذكرات رجل جامع لمسارات الحياة المتعلقة بدولة غريبة، وضعت على وجه تضاد التاريخ من كل وجه، وتختبرها عوائق الزمن من كل وجه، ومع ذلك كانت وصارت، ولذلك واجب على كل عامل في مساقات الحياة والتاريخ، وله انشغال بهموم الوجود أن يقرأ عن هذه الدولة، وكيف قامت، وكيف حاربت، وكيف انتصرت.

مجابهة السنن الظاهرة يعني وجود عمل خفي، مخالف لكل ما هو ظاهر، فإن كان الظاهر يعني وجود أمة جهادية مقاتلة، تجابه قوماً ضربت عليهم الذلة والمسكنة، ثم تنتصر الجهة المخذولة، فهذا يعني وجود عمل باطني خبيث.

هذه قضية يكشفها هذا الرجل الجامع لمسارات حياة دولة غريبة.

للذكر موشى دايان، بلا كذب على تاريخه كما يكذب هو، هو رجل أدب، وتاريخ، وعسكرة، وآثار، وكذلك له صولات عشق، ورجل سياسة، يتحمل في سبيل الوصول لأهدافه أن يضرب بأحذية أصدقائه القدامى كما ذكر ذلك في كتابه "أيبقى السيف الحكم"، هذا الكتاب الذي كشف فيه مسيرته لصنع الصلح مع السادات، وكيف انتقل للحصول على حقيبة وزير الخارجية في حزب الليكود، رامياً اتصاله الأول والقديم مع حزبه الأصلي حزب العمل.

ولمن لا يعرفه، فهو أول من أدخل في جرابه جماعات وشخصيات معادية له ،فصاروا أصدقاء له، يجتمعون به للمذاكرة، والمشاورة، وهو كذلك كان من أهم الشخصيات التجارية التي تورد إليها الآثار في فلسطين، ليقتنيها، ويدفع لهم الثمن.

مع هذه المذكرات تعيش خيانة بني جلدتك، وتعيش كذلك عوامل دوام هذا الغريب في هذه البلاد المحيطة به والتي تخالفه، وكيف أن هذه الدولة تكلف الكثير من الخيانات، والكثير من الدعم الدولي، والكثير كذلك من سهر أصحابها عليها، والكثير من الذكاء، والكثير من الدم.

مع أن هذا الكتاب يباع في بلادنا، وفيه الكثير من العجائب، لكن لتعرف مقدار ألمنا، فلك أن تتصور: ما إن تقتبس منه جملة ما حتى تدفع الثمن.

هذا شيء لا يثير عند أي عاقل إلا الضحك والسخرية.

وكذلك لتعلم أننا ونحن في هذه الأيام الكاشفة عن حقائق حياتنا أننا ما زلنا على وجه ما نعيش البحث عن تاريخنا المعاصر.

ربما لا تقدم لك هذه الذكريات أكثر مما تعرف عن رجل عاش العسكرة والجندية والسياسة، ينتصر، ويخفق، ويعادي، ويوالي، ويبرز شيئا يسيراً عن حياته الشخصية، ويذهب جاهداً في إبراز خصاله الخاصة، حتى لو كان في الحقيقة كحال مقاتل من الصحراء، لم يجد في تاريخه العسكري وهو في طور التجنيد مما يفتخر به إلا أنه كان يهرب من الكلية ليقضي نهمه في الطعام والتسكع والرذيلة، ومع ذلك، هو رجل مقاتل، ومن الصحراء، والتي لا يعيشها المرء إلا في القصور المتخيلة في ألف ليلة وليلة.

جانب آخر، وقد أتيت عليه في مواطن أخرى من الحديث عن ذكريات يهود، في بنائهم لدولتهم، وهو أن القوم لم يقصروا في سبيل هذا الحلم، والذي لن يعيش طويلاً بعد اليوم، لكن مما يميز مسيرتهم هو الرعاية التامة لهم، وفرق بين رجل يمشي عاملاً جهده في سبيل مراده، ولكنه يجد الرعاية من محيطه، بل من خصومه، وبين رجل يسعى جاهداً لتحصيل هدفه، ولكنه مع كل خطوة يخطوها يجد ألف عدو، من أمامه ومن خلفه، لا شغل لهم إلا قتله والانتهاء منه.

لقد اعتنت بهم الدول، والإمبراطوريات، والبنوك، وممولو الأسلحة، ولم يكن جهدهم في هذا الباب إلا توسيع الحلم أو استعجاله، فليس تفجير فندق داود في القدس إلا على هذا المعنى، مع دولة حملت لهم الحلم حقيقة، وقراراً أممياً.

بعد الانتهاء من هذا الكتاب، تحس أن الكثير من السر ما زال مكتوماً في قضية هذه الدولة المسخ، ولكن تذكر أن التاريخ لا يجوز أن يقرأ مختصراً، ولا يجوز بالتالي أن يقرأ كتاب مذكرات من خلال كليمة.

وبقي بعض الألم: ما زلنا نقرأ ما عندنا، ونفهم تاريخنا من كلمات خصومنا.

كليمة في كتاب (٣٣)

في مجال العقيدة

الأستاذ غازي التوبة

[١٠ مايو ٢٠١٨ – ٢٥ شعبان ١٤٣٩]

رصد تطور العقائد موضوعاً وأسلوباً علم مهم في تاريخنا، به قام كبار الأئمة، وهو نوع من عملية التجديد الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمة، وذلك يؤدي لزوماً إلى عملية الإحياء، ذلك لأن ارتباط التوحيد وعلم أصول الدين بنهضة الأمة، وتحولها من الغياب إلى الفاعلية حقيقة قدرية لا ينكرها منصف، وبها تحدث القرآن الكريم.

عوامل التبديل والتحريف ليست قاصرة على الأمم السابقة ولا على عقائدهم، بل هذه الأمة هي تكوين بشري سنني يصيبها ما يصيب كل أمة، وكما كان يبعث الأنبياء لتصحيح مسيرة الأمم السابقة، فهذا في هذه الأمة من مهمات العلماء والمجددين.

والعقائد لا يعتريها التحريف والتبديل في موضوعها فقط بل يقع هذا في الأسلوب، وفي طرق الاحتجاج لها، ولذلك نهى علماء السنة الكبار من الفقهاء والمحدثين عن علم الكلام، حتى لو كان هذا العلم سبيلاً في تقرير العقائد أو الرد على المخالفين، ثقة منهم أن هذا الأسلوب يحمل جراثيم الباطل الخفية، والتي ستغزو العقيدة نفسها، وهذا الذي وقع.

هذا الكتاب يقوم بمهمة الكشف لهذا الموضوع، وهو تغير العقيدة من خلال غزو الأسلوب، وهو مع تواضعه مقارنة بكتب كثيرة لكنه موجه للمثقف العادي، أو للشاب المبتدئ، ليعرفه هذا العالم المتلاطم، وشديد التعقيد، فيبسط له بسيطاً هيناً قضية تاريخية تشغل الصف الإسلامي، بل والفكر الإسلامي كله.

ولذلك يمكن للمبتدئ، أو لمن لا خبرة له في هذه القضية، أن يبدأ بهذا الكتاب، ليعرفه عمق هذه المشكلة.

الأستاذ غازي التوبة رجل مميز في أفكاره، فهو يبنيها بناءً رياضياً محكماً، وإذا حاورته وجدته على هذا المعنى، فلا يقبل جماهيرية الفكرة، ولا يغره الكثرة التي تصرخ، بل يذهب بنفسه ليصنع عالمه الفكري، ولكن مما يلاحظ في كتبه، غير كتابه "الفكر الإسلامي المعاصر"، أنها أشبه بالكتب المدرسية، يخالها المرء لا عمق فيها، وذلك لأسلوبها، مع أنها في داخلها فيها ما هو صناعة خاصة، تدل على قراءة خاصة، والأستاذ قارئ مميز، وناقد مميز كذلك.

الأسلوب الذي يمارسه الأستاذ كلاماً وكتابة لعل مرده لطول سنينه مع التدريس المدرسي، والذي يطيل النفس حديثاً عن القضايا البديهية، مما يجعل الكثيرين ينصرفون عنه، استماعاً، وقراءة، بل ربما وجدوه غير مقنع في أحيان كثيرة.

الكتاب يعري كتب الكلام العقائدية، ويثبت خروجها عن الجادة، وفي المقابل يشيد بطريقة المحدثين في هذه التقريرات، وينبه إلى قيام أهل العلم في ملء هذه الساحة بالعلم الضروري، وهو رد على الزاعمين أن علماء الفقه والحديث تَرَكُوا مهمة الدفاع عن العقائد للمتكلمين، ورصد عملية التحريف من خلال كتابين، هما مرجعان للأشعرية والماتريدية، "شرح العقائد النسفية" للتفتازاني، و"شرح جوهرة التوحيد" للبيجوري، ويبين مزالق هذه الكتب، أسلوباً، وتغيرًا، وتبديلاً.

عندما حاول الأستاذ بيان طريقة القرآن في موضوع التوحيد شرح هذا من خلال آيات قرآنية، وهنا تستطيع أن ترى أسلوب مدرس التلاميذ في ذلك، وكأنه يخاطب طلاب صف مدرسي، يقدمها لهم بأسلوب سهل، يخاف صاحبه الخروج عن هذا السهل، فلا يفهم الطلاب، فتقع الطامة.

هذا الشرح مع هذا الكتاب نفعه قليل، مع أن عبارات الأستاذ في شرح مهمات القرآن في توجيه الخطاب، وفي اهتمامه بالنواحي البعيدة عن اهتمام علم الكلام، كالبناء النفسي والسلوكي قمة في الوعي والإدراك.

للأستاذ كلمات وتقريرات في الكتاب طيبة، وبعضها لا تسمعها من غيره، فموضوع عدم الاهتمام القرآني في إثبات وجود الرب لعلم الفطر بها مسبوق ومشهور، ولكن كلمته حول الخصومات الكبرى حول الصفات رائعة ومبدعة، وفيها التوفيق.

وأنت تسري مع هذا الكتاب، والكتاب قديم الطبع، ومضى على قراءته سنون طويلة، تشعر أن الكاتب ترك في نفسه بعض الكلام في بعض الرجال، وخاصة الكلام في أبي الحسن الأشعري، وكأن له فيه حكماً خاصاً.

كليمة في كتاب (٣٤)

ما هي الشريعة؟

وائل حلاق

[١٢ مايو ٢٠١٨ — ٢٧ شعبان ١٤٣٩]

يحسن دوماً هذا الباحث الذهاب إلى أس المشكلة، وسبب الظاهرة، وهو أشبه بباحث اجتماعي في إتقانه لهذا الحفر منه إلى شيء آخر، ولذلك حين تقرأ مشكلة الكلمة في مقدمة كتابه هذا تشعر أنه وصف حالات الخصومة كلها في التاريخ الإنساني، وما سببها، ولماذا ينتصر خصمك عليك في بيئة لا تتقن غوصها بمشاعرك وكلمتك.

من الذي ينتصر في المناظرة حين تحاور الآخر في أرضه، وأمام من يحس بروح كلمات خصمك أكثر من جوهر كلامك الذي تعيشه غريباً بينهم.

في الخصومات العقدية التي تجري اليوم في داخل الصف الإسلامي، ينتصر الجمهوري، والذي يسوق عباراته على نحو مبتذل، ويهزم من حاول شرح كلمات العلماء على نحو من رقيها، بل ومعناها الذي صاغه رجل كبير، له لغته، وله نفسه التي تتلاقى مع لغته العظيمة.

هذه القضية هي مشكلة أي خطاب حين يخرج من بيئته، فيكسر كما يكسر شعاع الضوء الذي تتغير عليه البيئة وكثافتها.

حين تعاني هذه المعاناة مع الجمهوري، ستفهم كثيراً ما يريده حلاق، في كتابه هذا، والذي يحاول أولاً أن يخرج لفظ الشريعة، بما فيها من معاني البيئة التي نشأت فيها، وهي بيئة التعبد، وطاعة الله، وصوغ الحياة، أن يخرجها من لفظ ومعنى القانون كما هو في نفس الأوروبي، وفلسفته مع القانون والأحكام.

حلاق، ليست فائدته حين يكتب تسري إلى الأوروبي فتفهمه الآخر على نحو من الإنصاف، بل ونحو من الفهم الصحيح، وهي مهمة كبرى في عالم الاستشراق، والذي يصيغه الكثيرون على نحو من التزييف المقصود، لصناعة حواجز الاتباع، والاحترام.

فائدة حلاق هي في مقصدها تدور حول تفهيم الآخر، بصدق وعلمية منصفة، لكن الأمر بالنسبة إلينا حين نقرأ وائل حلاق أهم من هذا بكثير.

فائدته بالنسبة إلينا، تكمن في قضايا خافية عنا، وفي زوايا معتمة، لا ندركها، لأننا لم نعش تلك البيئتين، ولا ما فيهما من فرق كثافة كبير.

كل خصوم سلفيتنا الجامدة كما يسميها البعض تعني حين تقرأ حلاق أنها من روائعنا، بل هي سمات وجودنا، الملتصقة بلون بشرتنا، وبسواد رموشنا، بل هي أكثر من ذلك، هي جوهر روحنا في هذا الوجود.

حين يشهق الواحد منا شهقة ما، فتسري في نفس الآخر على نحو من معنى عميق، يعني هذا أن لك لوناً من هذه الحياة، له خصوصيته، وميزاته.

إن لموضوعنا المختلف عن الآخر صبغة تحيط به، وتجعل له ميزة، تختلف كلياً عن الآخر، فيجب أن تصبغ موضوعك بصبغة لغته الخاصة، والتي هي وعاء هذا الدين من ثقافة مصنوعة ضمن سيرورة الحياة لهذا العالم الخاص بنا.

كلمة الشريعة لا تعادل كلمة القانون، هذه كلمة يمكن أن يقولها الكثيرون، على نحو من الفهم لبعض الخلاف، ولكن وائل حلاق يذهب إلى أعماق هذا الخلاف ليبسطه بسطاً فلسفياً، يمكن أن لا يقبل من غيره، خاصة إذا قاله شيخ له لحية، تخرجه وسائل الإعلام على وجه التنفير والاستهزاء.

موضوعاتنا وأفكارنا صناعة القرآن والسنة، وصناعة التاريخ الثقافي لنا، فكل اختراق، ولو بدا أنه لفظي يعني سقوط المعاني التي يفتخر بها هذا اللفظ.

حين تقرأ حلاق، وأنت تريد أن ترى وجهة تعليمه لعالم الاستشراق طريقة فهم الآخر، عليك أن تفهم سر قوتك، وسر خصوصيتك، وسر ما هو كامن في نفسك، تظنه بيناً عند الآخر، فيمكن التقاء المعاني باتحاد اللفظ، وهو اللفظ الذي يفرضه الآخر، لا أنت.

حين حاول محمود شاكر أن يشرح خفاء معنى كلمة ثقافة بين حضارتين، غاص منقباً لينتهي إلى جوهر ما، هو السر الذي يحوم المرء حوله فيدرك بعض الضوء منه، ولكن على وجه من خفر وحياء.

من تره من علمانيين العرب، وتراهم يرطن برطانة الغرب، ليصيغ الحكمة القرآنية والنبوية من خلال لغتهم التي استقى منها مصطلحاتها، تعلم أنك أمام مهرج، لص، حاوٍ، بل هو في أجلى صوره جاهل مغرق في جهله.

بالنسبة إلينا، ما قاله حلاق تعرفه جداتنا الأميات، فالشريعة وضع إلهي، تبدأ حين تبدأ بحبك، ورضاك، وتسليمك، لا ترضى منك تسليم الخوف من السوط الذي يعاقب تخلفك، ولكن تبدأ بأنك عبد الله، لا يرضى منك إلا تسليم قلبك له، حباً، وإخباتاً، وشوقاً، وحنيناً، تصاغ في هذا الجانب الأوامر مع الخوف، وطلب الرضا، ويكون امتثالك لها في النجوى أشد من العلن.

القانون.. شيء آخر، من أراد فهمه في الخطاب الأوروبي فليعد لكتاب حلاق، ما هي الشريعة ليدرك جفاف هذا اللفظ، وما فيها من قصور عن معنى: الشريعة.

لا تذهب لكتاب حلاق لتعرف الآخر كيف يفكر، فهذا ستجنيه في عرض الطريق، بل اذهب لتعرف أنك مسلم، لك خصوصيتك، وحين تخضع لعملية التجميل!! يعني أنك صرت مسخاً، بل مجرد دابة تقضي حوائج الآخرين.

كليمة في كتاب (٣٥)

عقيدة الصدمة

نعومي كلاين

[٣١ أغسطس ٢٠١٨ – ٢٠ ذي الحجة ١٤٣٩]

هذا الكتاب صنع ضجة عند صدوره، لأنه لامس بخشونة وحوش الاستثمارات في الكوارث والمصائب، فهبوا للدفاع عن أنفسهم، كما هب آخرون لفضح ممارساتهم ودعم هذا الكتاب.

هذه كاتبة كندية، هي ضمن مجموعة تؤمن بضرورة التصدي لعالم خفي من السياسيين والعسكرين والاقتصاديين، يقومون بكل ما هو إجرامي وقذر لتتضخم مؤسساتهم وأموالهم، ولتنتشر أفكارهم، وليصنعوا عالما من طبقتين: العبيد والسادة، بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى سيء ومؤلم.

الكتاب يتحدث كيف يستغل هؤلاء الطفيليات المتوحشة كوارث الدنيا لصناعة عالم جديد، فيه تكريس للرأسمالية، وتكريس لتفوق مؤسسات معينة، وضرب كل مقومات الاستقلال السياسي والاقتصادي، سواء تعلق هذا الاستقلال بدول أو مؤسسات أو أفراد.

ما يهم عالمنا هنا أنها كشفت الحقائق المؤلمة لغزو العراق، وكيف أنهم أرادوا بهذا الغزو صناعة عالم جديد، محكوم لهم، من رأس الدولة إلى أقل فرد فيها.

حكت الكاتبة القصص المؤلمة المتعلقة بتدمير الثقافة، وتدمير الذاكرة، وفتح البلاد كسوق استهلاكي لمؤسسات غربية، تكرس الثقافة الغربية، والتي قوامها سادة وعبيد، فالسادة هم العرق الغربي، والعبيد هو كل من كان غيرهم.

ماذا تعني كلمة "عقيدة الصدمة"؟ تعني أن الشعوب عندما تصاب بصدمة كارثة ما، مصنوعة أو طبيعية، فإنها تصبح حالة سهلة للتشكيل، لأن الصدمة الكارثية تدمر البنى التقليدية، وتخلخل الموجود مهما كان قوياً وتقليدياً، ومعتمدا على الإرث والعقيدة.

ما تكشفه الكاتبة هو أن منتفعي الكوارث هم عصبة مؤسسية، لهم قائد روحي، وجماعة تتغلغل في كل مفاصل الدولة، تسللوا رويداً إلى مصادر القرار في الولايات المتحدة، حتى أتوا على كل مغرز فيها، فهم أشبه بالعصابة، بل عصابة دموية لا رحمة فيها.

هذه المؤسسة أطلقت عليها الكاتبة "مدرسة شيكاغو" وعرابها رجل اسمه "ميلتون فريدمان"؛ وقد بدؤوا صناعة أنفسهم منذ حكم نيكسون، يتقدمون بثبات نحو أهدافهم، دون نظر لأي قيم الحياة الإنسانية، فكل مصائب الوجود بالنسبة إليهم هي فرصة للتمدد والتقدم والازدهار، وحين توقف الكوارث الطبيعية يسارعون هم لصنع هذه الكوارث.

الكتاب ضخم، لكن ما قيمة قولك: هؤلاء دمويون، وقذرون، وشركاء شيطان، دون أن تعرف كل تفاصيل هذا الكلمات لتزداد بهم بصيرة، ولتعرف عمق هذه الكلمات في الواقع، ولذلك فكل كلمة في هذا الكتاب ضرورية لشرح هذه الظاهرة.

كنت أريد أن أكتب عن هذا الكتاب باتجاه آخر، وتحت عنوان: "صراع إرادتين، العمل من خلال خطة العدو" ذلك أني بعد أن سرت في الكتاب إلى وسطه، خرجت من حالة الصدمة المروعة برؤية هؤلاء المجرمين، وتخليت من حالة الذهول التي صنعتها دموية هذه المؤسسات، إلى حالة أخرى، وهي رؤية عالم ما بعد هؤلاء، إذ هو العالم الذي يرتقبه الناس، وسيكون هو التالي لظلمهم وإجرامهم.

لقد رأيت بعد ذلك يد الله تدمرهم من خلال تدميرهم لغيرهم، وتفسد حياتهم من خلال إفسادهم لعالم غيرهم، والعالم اليوم على حافة الانهيار بسبب أن هؤلاء قد سارعوا بممارساتهم هذه نهاية عالم الغرب.

عندنا ما يجب الإعلان عنه، وهو وجود مغفلين، يؤمنون أن في الغرب بعض خير (أقول: يؤمنون بوجود بعض خير، وأما المؤمنون بأن الخير في التغريب فهم ملاعين مأجورون، وأما من آمن ببعض خير فهم مغفلون كأولئك الذين وضعوا بعض الزهور الكلامية على قبر جون ماكين)، ذلك لأن هؤلاء لا يعرفون من الذي يسيطر في الغرب، وكيف تدار ماكينة الحياة، والمواقف، من سلم وحرب، ويحتاجون لهذا الكتاب حقاً.

هذه الفئات التدميرية تريد صناعة عالم خاص بهم، ومن خلال هذا الهوس في البلوغ للمآرب تكون يد الله حاضرة أن يوصلهم لمراده دون مرادهم، ومن خلال خطتهم تكون إرادة الله هي الغالبة لتدميرهم، مع تدميرهم لأنفسهم (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ).

حتى تلك الكوارث الصناعية التي يحدثونها تنقلب عليهم، وتتحول بأيديهم إلى مصدر كوابيس مؤرقة، ومن خلالها تهتز معالم الثبات في الجاهلية، لتكون الفرصة سانحة للشعث الغبر في حرية التحرك، وصناعة واحة جهاد يحسن بها التحرك، ارتقاباً لمزيد دمار داخلي في البنية الغربية، ليكون لهم الوراثة التامة بإذن الله.

إرادتهم دوام الشر، وحصول الغلبة، ومن خلال إرادتهم هذه، والتي تصنع عالماً يسهل اختراقه يكون لعالم الإيمان وجود.

ما من كارثة حصلت منهم، إلا وكان فيها النفع لصناعة حالة جهادية، لا يفهم وجهها البعض، بل ربما فسرها الجاهلون أنها جزء من صناعة العدو، كما يحلو لمحللي (البول) أن يفسروا الظاهرة الجهادية التي تتمدد وتصنع نفسها لوراثة الأرض.

من خلال خطتهم تبرز يد الله، ليكون كيده أشد، ويكون تجدد الفعل الإلهي بصناعة موسى عليه السلام في بيت فرعون.

وجود هذه الطوائف نعمة إلهية، كما كان يقول بعض الصالحين: لو جاز لي أن أشكر من ظلمني لشكرته على ظلمه لي، لما حصل من خير عظيم لي.

لا أحد يتمنى البلاء، ولا الكوارث، ولا المصائب، ولكن ليس القدر تابعاً لأمنياتنا، فقد ولدنا في كبد، نأتي بالألم والصراخ، ونموت بالألم والبكاء، وننتصر بالألم والفراق، وتصنع انتصارات الأمة بموت حمزة، وغربة جعفر، وبخراب البنيان، وهلاك الثمار، وخسران الأموال.

فلذلك للكتاب قراءتان، قراءة اليأس، وقراءة الأمل (فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ)

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٣٦)

استعادة الخلافة: تفكيك الاستعمار والنظام العالمي

سلمان سيد

[١٠ سبتمبر ٢٠١٨ – ٣٠ ذي الحجة ١٤٣٩]

ابتداءً لابد من كلمة جوهرية وضرورية:

كل هم أعدائنا منع تحقق الخلافة، وكل جهودهم العدائية تجاهنا تسير في اتجاه واحد، وهو منع تحقق هذا الأمل الإسلامي العظيم، وكل جهودهم سابقاً ولاحقاً إنما منصبة حول منع حدوث هذا الكائن المرعب العظيم.

في كتاب جيمس بار "الصحراء تشتعل"، نقل المؤلف كلمة للورنس، كتبها لما كان طالباً، فأعجب به المدرس، ونصح باتخاذه رجل مهمات صعبة، يقول لورنس: "إذا تمكنا من إجراء التسويات اللازمة، ليكون هذا التغيير السياسي عنيفاً، نكون قد قضينا على خطر الإسلام، بتقسيمه وزرع الفتنة في عقره، سيكون هناك خليفة في تركيا، وآخر في الجزيرة العربية.. يتنازعان فقهياً، ولن يكون الإسلام على قدر كبير من الأهمية، مثلما كانت عليه البابوية يوم كان البابوات يعيشون في أفينيون" انتهى.

هذا النص، كثيف، غزير، مليء بالألم من جهتنا، مليء بالتخطيط من جهتهم.

الخلافة هي عدوهم، وتوزيعها كان منتهى أملهم، فتحقق بسبب عوامل التعرية الداخلية أكثر من هذا.

ولذلك من وجه قصده نحوها فهو العدو، ويجب أن يموت، ومن وافق على الحياة بدونها أمكن التعامل معه مع الاحتواء.

هم ينشغلون بأي قضية حين تتعلق بالخلافة، ويغضون الطرف عن أي قضية لا علاقة لها بهذا الأمل الإسلامي المنشود.

هذا الكتاب لا يتحدث عن وقائع، ولا يتحدث عن سياسة بمفهومها الخاص، بل يتحدث عن تفكيك مصطلحات الغرب تجاه دعاة الخلافة، وحملة رايتها هنا وهناك.

هناك مصطلحات تبدو في بعض الأحيان مغرقة في المعنى السياسي، أو العسكري، أو الاقتصادي، بعيدة عن الوعي الإنساني، أي في الغرب، ولذلك نظن أن الرؤية سياسية أو اقتصادية بحتة، ونبتعد عن أعظم قضية قرآنية في موضوع الحرب مع الأعداء من المشركين من الغرب، وهي قضية الوعي المعرفي؛ أي الإيمان.

هل الذي يسوق الحركة العسكرية والسياسية والاقتصادية رجل لا دخل له بالمعرفة العقلية عندنا وعندهم، أو هو فيلسوف يذهب أولاً إلى تفكيك المعرفة في النفس البشرية، ليصنع معرفة ويقضي على معرفة، ويقيم إنساناً، ويدمر إنساناً؟؟

هذا ما يجيب عنه هذا الكتاب عن طريق جهة ذكية، وهو تفكيك المصطلحات ودلالتها، بل والأحداث وما قصد بها مطلقها.

هنا نحن نغرق في التفسير، والنظر الذري الفردي القاصر، وهناك يتم بناء معرفة إنسانية، وجهتها الكلية تدمير روابط الأمة، ونزع جوانب اللقاء، وتغييب الأمل حتى وطأة اليأس.

يبدأ الكاتب بعنوان عجيب "الأسماء"!!

هناك بنية معرفية عميقة لصناعة واقع الأسماء، مصوغة من خلال الهجوم الاستعماري، فلابد من الوعي على مؤسساتها ورجالها، ومآلاتها في الذهن الغربي أولاً، باعتباره حربة تدمير، وبالذهن المسلم باعتبار مفعولاً به في هذه الساحة.

تجر القائمة، حول هذه البنى المعرفية، وهذه الصياغات الاصطلاحية، ليكشف لك الكاتب ما هي عندهم، وماذا يراد منها، فهي تفكيك للبنى المعرفية عند هؤلاء:

- الليبرالية.
- العلمانية.

- النسبية.
- الديمقراطية.
- علم المستقبل.
- الشتات.
- الخلافة.
- النظام.
- التأويلية.
- الأخلاق.

هذه (أسماء) ليس لها دلالة معرفية ذهنية فقط، بل لها وجود واقعي يترجم على الأرض.

انظر إليه وهو يتحدث عن الفارق بين ما نفهمه من الكلام كوعظ ديني، قد نستغرب خصومة مؤسسات الأمن عندنا لها، وكذلك قلق الغربي منها، لكونها ليست كذلك عندهم، بل هي في النهايات وجود مقاتل، يصارع وجودهم من كل وجه:

يقول: "إن تأسيس الأمة لدولة ستعتبر ممثلة للإسلام لا يستلزم مزيداً من المواعظ المعيارية، بل وسيلة لترجمة المبادئ المرتبطة بأفضل مفهوم يمتلكه المسلمون عن دولة مثالية كهذه إلى آليات الإدارة والحكم". انتهى.

وانظر لقوله: "إن إثبات الذاتية المسلمة يقدم تحدياً جدياً لفكرة الدولة القومية" انتهى.

هذا الكتاب يكشف لك، وربما دون دراية كاتبه، عقم وفساد الذين يحاولون جهدهم استخدام المصطلحات الغربية للتعريف بالإسلام، فهم وإن يقع قبولهم سياسياً في مرحلة، للضرورة، إلا أن المشكلة هي الحشوات الداخلية لهذه المصطلحات، ومن الخير أن نفهم أن القضية الواقعية في الصراع هي صدى لهذا الخلاف المعرفي (العقدي والمعرفي).

المشكلة صراع دموي حول إيمان مقابل إيمان، ويجسد هذا الإيمان من خلال أمة، ومن خلال كيانات متعارضة، وليس مجرد مماحكات لفظية.

يجب علينا أن نفهم الكفر من خلال بناه الفكرية، لنعرف عمق العداء الدموي بيننا وبينهم، بل بيننا وبين المؤسسات القومية والوطنية التي بنيت على ضفاف الغرب، وعلى عينه، ومن خلال عقيدته.

هذا الكتاب قد لا يغري البعض، لخلوه من الأخبار والحوادث والأسرار، لكنه مهم لأنه يفكك العقل الغربي، ومن خلاله تكتشف أزلامه عندنا، وبهذا تصبح (مثلنا) تؤمن أن الإسلام نور لا يلتقي مع الجاهلية، وأن الموضوع لا يتعلق بتغير هياكل، بل بجرفها كلياً ليكون هناك إسلام حقيقي، بنيته ولحمته وسداه هو الإيمان بالله.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٣٧)

اعترافات القديس! أوغسطينوس

[١٣ سبتمبر ٢٠١٨ — ٣ محرم ١٤٤٠]

كيف ندخل على الله

حاورت مفكرين، وقرأت لتائهين زعموا الوصول للهداية وطريق الخير، فوجدت أغلبهم يتيهون في معرفة الحق كما كانوا تائهين في طريق الشهوة.

هل هذا الرضا القلبي، وهذه الراحة التي نحسها في أنفسنا، وهذه السكينة التي نرتاح على أعتابها هي دليلنا للحق؟

هل يكفينا أن نستدل لأنفسنا قبل أن نحادث غيرنا أن نقول: ها قد اطمأننت، وحصلت الراحة والرضا فأنا على الحق والطريق الصحيح؟

كلما نظرت في كتاب حائر زعم الوصول إلى الصواب جاءنا منه هذا الجواب: اسلك معي وستعرف بالذوق ما عرفت، وستدرك الحق فيما أقول.

والله سمعتها من مشايخ صوفية.

وسمعتها من نصارى كبار في دينهم.

وسمعتها من مشايخ جماعة التبليغ.

وقرأتها في سد هارتا.

وقرأتها لغنوصيين، وبوذيين ووو.

كلهم يحيلك إلى هذا الذوق الذي يجدونه على أعتاب دياناتهم.

وهاهنا يأتينا القديس! أوغسطينوس على ركاب هذا الفكر، ليقول لك بلسان الذوق: هنا الحق.

كان هذا الرجل مانوياً!، وعليك بمجرد ذكر هذا الدين أن تبسط رداء فكرك على كل شهوة في الأرض، وتتخيل كل لذة يعرفها البشر، لترى أهل هذا الدين يعبون منها حتى الثمالة، طلباً لإشباع حاجة النفس ورغباتها، حتى إذا اكتمل الكأس لذة وشهوة كانت الحيرة.

فبعضهم يبحث سادراً عن شهوات أخرى، كمن ذهب لقضاء وطره مع الحيوانات، أو مع الأطفال، أو في أمور يصعب تخيلها، لشياطينهم الخاصة تخيلات لا تأتي لآحاد الناس.

وبعضهم يفر من هذا كله إلى ما يسمونه الروحانية!!

ما هي ضوابط هذه الروحانية؟ الجواب: لا ضوابط؛ هكذا قال دهاقنتها الكبار، فكل معبود في الوجود معبودي، وكل ما في الكون هو مظهر الجمال الإلهي ذاتاً وصورة، وهذا هو نهاية العشق عند الغنوصيين (يسمونهم عندنا الصوفية)، وبعضهم يحط رحله على مذهب فيه التأمل والعرفان والتجرد، فتتلقفهم البوذية أو غنوصية النصارى في العزلة والتجرد، أو الصوفية والرقص والغياب الذهني وهكذا، حينها يصرخون صرخة أرخميدس: وجدتها.

هذا التضاد يدل العاقل أن هذا هروب وليس الحل.

فما الحل إذاً؟

الحل هو أن تعرف الحق، وأنه حقيقة واحدة غير متعددة، تحضر لها عقلك كله، وفطرتك كلها، وتجردك عن الهوى كله، لتعرف الله والرسول، وما يحب الله وما يكره، وبعد هذا تعرف إن وافقك ذوق من هذه المعرفة العلمية العقلية أنها ذوق صحيح ورضى قلبي حقيقي.

كل دين يذهب به بعض أتباعه إلى الانحراف، متجهة في بعض ظروفها للمادية، كما حدث مع النصرانية عندما خالطت أفكار البشر، فأن يأتي قديس! كأوغسطينوس ليجعل العرفان القلبي هو مقصدها لا يعني أبداً أنه أصلح الدين وجدده.

تجديد الدين هو إعادته لصورته الأولى التي جاء بها النبي، ثم حمل الناس على العمل الصالح الذي هجر، وليس تجديد الدين بقلب القلوب من ضد إلى ضد، أي من مادية لروحانية! أو العكس، ليقول قائل: هذا أحيا الدين.

الدخول على الله قبل كل شيء بالعلم، أي بإصلاح الكلمة والمعنى والمحتوى، ثم حمل الناس على هذا العلم، ليصاحب العلم العمل، فهذا هو الباب الصحيح في الدخول على الله.

الإصلاح ليس مناجاة رؤيوية، ولا كلمات عرفانية، ولا ذوبان في الرمز، بل الإصلاح صناعة صخور علمية قاسية، يصحبها بناء نفسي على ظهر هذه الصخرة العقلية القوية.

تأمل الشافعي وعلمه، وكيف يصيغ الحق كلمات ومعان علمية عقلية تامة، ليدخل مجدداً للحق والرسالة.

تأمل عقل ابن تيمية كيف يقارع عقلاً بعقل، وكلمة بكلمة، ثم تراه ذاهباً لحمل السلاح، وعزلة مع الله، وتأملاً قلبياً يسابق به كل زاعمي التأمل العرفاني.

ليس كافياً لتدلل على شيء أنه الحق أن جاء إليه رجل شبع من الشهوات، واقترف كل أنواع الهوى، فزهد في ذلك كله، ليقول لك: إن ما أحس به من رضا ونعيم هو خير من الشهوات تلك كلها.

لا، هذا ليس كافياً، ولو كفى لكان كل دين فيه منع الشهوات والزهد فيها هو الحق، وتحت هذا الباب الكثير من الأديان المتعارضة المتحاربة.

ليعترف هذا القديس ما شاء، وليخاطب إلهه الذي زعم الاهتداء إليه كما يحب، ولكن يأبى الحق إلا أن يكون له دليل الحق، وهو العقل والفطرة والإحسان.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٣٨)

١٩٨٤

جورج أورويل

[١٩ سبتمبر ٢٠١٨ – ٩ محرم ١٤٤٠]

عندما تعيش الرواية

عرفت جورج أورويل مبكراً من خلال قصته "حديقة الحيوانات"، والتي كانت من ضمن المنهج الدراسي للمرحلة الثانوية، ثم زادت هذه المعرفة من خلال ارتباط أكثر مع "حديقة الحيوانات" ربما أذكر قصتها في ظرف آخر.

روايتاه، "حديقة الحيوانات" و"١٩٨٤"، دخلتا في القاموس السياسي، وصارتا كالدلالة الاصطلاحية على معنى سياسي وثوري، بل وإنساني، ولذلك تشعر مرات بالعجز عن الإبانة عن حالة ما إلا من خلال استخدامك لإحدى هذين الاسمين، وإن حاولت الشرح بعيداً عنهما شعرت بالضعف والعي.

جورج أورويل أراد أن يشرح مآلات الحكم الشيوعي لبلد ما، وكيف يصبح مجتمعاً مأسوراً لرؤية الزعيم والحزب، وكيف يتم إلغاء الإنسان، بل والتاريخ، ويوجب عليه العيش ذهنياً بعيداً عن واقعه، وإن حاول التفكير أو الاعتراض فالحل الوحيد إعدامه.

عندما تقرأ هذه الرواية تحس في عالمك الإسلامي أنك تعيشها، وأن كل مفردة منها تحيط بك، وأنك حقاً تعيش رعب اكتشاف الحقيقة.

هنا في هذا العالم تمنع حتى من قراءة التاريخ، فكم كتاب منع لأن فيه إشارة ولو يسيرة لتاريخ الزعيم أو جد الزعيم فيها معنى الخيانة ورائحة الفساد؟!

ممنوع عليك أن تقرأ كلمة خارج السياق، وممنوع أن ترى هذه الأمة قبل ظهور إبداع الحاكم، وممنوع عليك أن تحاول الفهم خارج سلطان إرادته.

كم من كلمة نقولها ونتكلمها بصوت خافت، وإن تشجعنا قلناها مغلفة بألف تورية وكناية وتعريض؟!

كم من حقيقة نعرفها لا نسردها إلا لصديق اختبرنا أمانته ألف اختبار، وربما أخطأنا في حسن الظن هذا؟!

كم من مرة استدعيت لدائرة أمن لأنك لم تظهر الحزن وقت حزن الزعيم والحزب، أو لم تظهر الفرح وقت فرحهما؟!

تأمل وزارات السلام والرفاهية في بلدك وماذا تحتها من حقائق مقلوبة، تضاد الاسم من كل وجه.

كم من مركز فيه عنوان كبير: الحكومة في خدمة الشعب، وفي الحقيقة هي لعذاب الشعب؟!.

جورج أورويل كتب قصة سياسية من وحي خياله لما سيؤول أمر بريطانيا لو حكمت بالشيوعية، لكن السؤال: كم سيكتب الواحد منا من رواية لما عاش، وشعر، وأحس، ثم ما هي نتيجة كتابة هذا كله؟

في بلاد الواق واق، حيث يزور التاريخ، فكأننا أمة لا نلد إلا بولادة الزعيم، ولم نعرف معنى الحياة إلا لما أشرقت أنواره على دنيانا المظلمة.

في بلاد الواق واق فساد يجب عليك أن تسميه نماءً، وجريمة يجب أن تعتقد أنها لحمايتك من نفسك.

كل رواية أورويل هذه لم تشعرني بالغرابة قط، ولم أتصور أنها صنع خيال، لأنها أصغر بكثير من روايات المساجين والمعتقلين في بلاد الواق واق.

ماذا تصنع رواية أورويل هذه أمام "البوابة السوداء"، أو "خمس دقائق فحسب"، أو "السجينة"، أو "شاهد ومشهود"، أو تلك الروايات الشفهية التي يكتنزها الناس تاريخاً تحت جلودهم؟

هذه رواية سخيفة حقاً أمام بعض ما عاشه الناس في قارة الواق واق.

أنت لا شيء، ومجرد ذرة مهانة، بل حشرة، يمكن لأي بسطار أن يسحقك لمجرد أن قلت: لا، أو فكرت بلا.

بلاد الواق واق طاردة، يرقب أهلها فيزا سفر، أو عقد عمل، أو مشروع هجرة.

في بلاد الواق واق يسجن فيها المرء لمجرد أنه عالم يدعو ربه أن يوفق الناس لصلاح أمرهم.

في بلاد الواق واق يطلب الإعدام لمجرد أن رجلاً كتب كتاباً.

من أين أتانا كل هذه القاذورات، والتي تصاغرت أمامها حكايا الليل، وروايات الخيال؟!

حقاً، رواية أورويل سخيفة، وفيها تصغير لحقيقة واقع بلاد الواق واق، فلا تهتموا بقراءتها إلا بكونها تعلمك مصطلحاً تحتاجه عند التدليل على وضع سياسي مؤلم، بل وقذر.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٣٩)

عالم ما بعد أمريكا

فريد زكريا

[٢٥ سبتمبر ٢٠١٨ – ١٥ محرم ١٤٤٠]

هذا كتاب مليء جداً بالمعلومات، وهذا شأن الصحفي، والرجل يشعر أنه لا يصلح في الدخول لعالم الفكر والفلسفة، ولذلك يكثر جداً من الشواهد، وهذ فائدة مهمة في الكتاب، لكن لا أدري لم أشعر بالاشمئزاز لما أقرأ لواحد يشعر بالهوان من أصله، وهو يحاول أن ينصح أهل بلده الجديد، فهو يتكلم باستحياء، وبضعة نفسية مهانة، تنبعث من خلال وفرة المعلومات وضعف الألفاظ الموازية لها، هكذا يثير فيك هذا الكاتب مع موضوع هذا الكتاب.

لا تحتاج لكبير عناء لتعرف تصور الكاتب عن عالم ما بعد أمريكا، فهو عالم يزيل عن أمريكا قطبيتها الواحدة المسيطرة، ويذهب إلى سيطرة متعددة في العالم، يفرضها إيقاع الحياة الجديد من خلال الفكر والإرادة، لا من خلال القوة العسكرية فقط.

العالم الجديد كتبه فريد زكريا وهو يعيش أيام أوباما، وينذر فيه، بل يصف واقعاً أن العالم بدأ ينزلق من السلطان الأمريكي الذي يحكم العالم من خلال قوة الاقتصاد والسياسة والعسكرة، وأظنه الآن لو كتب، وقد فعل، ورأى عصر ترامب لقال شيئاً آخر، لا تعلق به في وجود سلاطين جدد، ولكن أعداء لأمريكا جدد، مع أنه في الكتاب أنذر بحصول هذه التحولات.

ضعف الكاتب أنه ما زال يعيش ضمن نهاية التاريخ، ولذلك لا يلامس التغيرات ملامسة قوية، ولا ينظر للجوانب الخطرة التي بدأت تنشأ في العالم، فتحول الصراع أبعد من كونه حول المال والسياسة، ولكن فيه صوت البارود، لأن النفوس ممتلئة وجاهزة للانطلاق، فعالم توزيع الأدوار، وتوزيع الممتلكات، بدأت خطوطه تنهار وتتحول التفاهمات إلى خرق بالية قديمة.

في الكتاب الكثير من الفوائد التي يكشفها الكاتب للقارئ العربي، والذي في أغلبه لم يفهم التركيبة الأوروبية والأمريكية، لا في تاريخها ولا حاضرها، ولذلك من الجيد الاطلاع عليه، لكن من المهم الحذر من سياقه الكلي، وهو أن التاريخ صناعة الغرب، يتحول من طرفيه الأوروبي والأمريكي، أو الشرقي ممثلاً بروسيا والصين، وغربيه ممثلاً بأوروبا وأمريكا، فهذا فيه بعد عن سيرورة التاريخ وصراع الحضارات، وأن الحضارة لا تتقلب بين هذين القطبين الشرقي والغربي، بل بين الشرق الإسلامي والغرب الوثني.

البعض يمكن أن يشير إلى كون الكاتب في جذره العقائدي رافضي شيعي، وهذا يجب العناية به حين النظر إلى تفسيراته في الصراعات التي تحيط بأمتنا مع أقربائها، ذلك لأننا عهدنا دوما أن الوحيد الذي يتخلى عن عقيدته حين يصبح علمانياً هو المسلم السني، وأما غيره فهو يكيف عقيدته الجديدة لتخدم عقيدته وبني جنسه الأصليين.

في سياق الكلام عن واقع الحضارة الغربية مع ما يسمونه الإرهاب، يعرج الكاتب تعريجاً مهماً على هذا الباب، ولابد قراءة هذه الجوانب التي تري المسلم رؤية الغربي لعالم الجهاد، ومناهضيه ممن حمل السلاح وواجهه.

يوجد الكثير مما يؤلم في كلامه، ويصدم بعض الرؤى الصغيرة، والتي تحب أن تعيش الحلم أكثر من الواقع، فهو يصف وضع (الإرهاب) كما يسميه مع بني جلدته ما بعد سبتمبر، ومن استطاع ابتلاع الآخر، أو تقزيمه والتعامل معه ليحاول تهوين شأنه وإضعافه، ذلك لأن البعض لا يحب المحاسبة، ولا مراجعة الذات، ولا قراءة الواقع، بل يحب أن يرى المشهد نفسه في كل وقت، فليست تلفزيونات بلادنا هي التي توقف الحياة على صورة الزعيم، تعرضها طوال الوقت، بل الناس يفعلون ذلك، حين يوقفون الحياة مثلاً على حادثة هدم البرجين، وكأن هذا الفعل يصنع كل لحظة، وأن الغزوة ما زالت مستمرة.

لما قرأت كلام الكاتب في قدرة الغرب على استيعاب الخصم تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم عن الروم، وأنهم أسرع الناس إفاقة بعد مصيبة، وللأسف فإن هذا الحوار ممنوع عندنا لأسباب، وهو أن هذه البيئات الإسلامية طاردة للفكر، لا أقصد الجماعات، ولا التنظيمات، ولكن أنظمة الحكم، فهي التي تمنع الحوار حول هذه القضايا المهمة، وتوجب على الجميع أن يدخل في سياق التصفيق والرقص لما تمليه

أجهزة الأمن، والتي تفقد البحث العلمي، ولا تقبله، لأنه من الممنوع أن تؤيد ما لا يؤيدون، أو تفسر الحياة على غير ما يريدون.

الفعل الجهادي وسياقه بعد سبتمبر لم يقرأ إلا على وجهين: إما في سياق السب للفعل وتجريمه، وإما في بقائه حلماً متصلاً كبقاء صورة الزعيم في التلفاز، وهذا جريمة في حق الواقع نفسه.

على كل حال هذا باب مهم، ولكن في الفم ماء كبير، ليس فقط يضعه في فمك حالة الأمن، ولكن لأن التاريخ ما زال متصلاً، فمجرد البيان يعطي دلالات غير مستحبة في هذا الباب.

هذه فائدة بالنسبة لي أكدت قضايا لدي، فمدحت للكتاب أنه قدمها بأرقامها وأخبارها لا مجرد الرؤى الفكرية.

فريد زكريا في كتابه هذا حاول أن يكون مفكراً، فبقي صحفياً، وفقط.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٠)

الطبقة الجديدة

ميلوفان دوجيلاس

[٥ أكتوبر ٢٠١٨ – ٢٥ محرم ١٤٤٠]

هذا كتاب لم أشأ دوماً أن أنساه، وأستحضره في مفاصل حياتي كثيراً، وذلك لأنه كتاب مهم، يستطيع أن يبلع آلاف الكتب، وآلاف التجارب، وكم أحتاجه لتقريب مسارات تحاول شرحها للبعض، فتعجز إلا من خلال هذا الكتاب وأمثاله.

حسين مؤنس كتب هذا الكتاب بنكهة مصرية، وسمى كتابه "باشوات وسوبر باشوات"، وحاول تقريب فكرة هذا الكتاب الروائي جورج أورويل في "حديقة الحيوانات"، ولو أردت أن أسرد قائمة الكتب التي تصلح تمثيلاً لفكرة هذا الكتاب لاتسعت هذه الكليمة بعيداً عن حقيقتها.

ميلوفان دوجيلاس رجل ثورجي من الطراز الأول، لم يفهم الأفكار إلا بكونها أفكاراً، لكنه لا يفهم سيرورتها حين تتحول إلى واقع، وبالتالي هو فيلسوف كلمة، لا فيلسوف حكمة، وأظن وهذا ليس من الإثم أن الرجل صاحب مزاج حاد، يذهب بعيداً في عقائده، دون النظر إلى مفاهيم العمل السياسي والتي هي التي توجد في النهاية، لا الأفكار.

لينين مسح كل الفكرة الماركسية، وأدخل نفسه في جوفها لا أرجلها فقط، واستطاع تحويرها لتصبح: ماركسية لينينية، وما أن مات هذا المخادع حتى تسلم وراءه من أوصى الرفاق من بعده بعدم تسليمه الحكم، وكتب لهم كلمة واضحة: إياكم وأن يستلمكم ستالين، ولكنه استلمهم، وتحكم فيهم حتى مسح اسم لينين، ومسح كل من عارضه، حتى مسح زوجاته المتعددات حين يصطدمن مع عشقه المتجدد.

الأفكار البشرية أكذوبة كبرى، مهما بدت منمقة جميلة، ليست هي عند أصحابها الحذاق إلا وسيلة للسيطرة والقوة، ولذلك يتبناها خبثاء وأغبياء، فقط، ولا ثالث لهما، فأما الخبثاء فيتحولون بعد السيطرة

إلى طبقة حديدة، وأما الأغبياء فإما أن يصحوا من غبائهم كميلوفان دوجيلاس هذا، صحوة جزئية، وإما أن يرضوا الغباء حياة لهم فيبقوا أدوات شر لتطبيق رؤية الزعيم (الطبقة الجديدة).

صار عنوان هذا الكتاب تعبيراً سياسياً، ليس فقط ضد دعاة الحرية والعدالة والمساواة، ولكن ضد كل الأغبياء الذين يموتون من أجل كلمات أرضية، أو جنة دنيوية، لأن معناها أن هؤلاء بعد أن يستولوا على السلطة يصبحون صورة أقبح وأقذر من الذين أزيلوا عنها بحجة الفساد ونشر الفقر وتحقيق المساواة.

حسين مؤنس في كتابه "باشوات وسوبر باشوات" رصد ظاهرة الضابط المصري (الجائع الفقير) وكيف كان قبل ثورته ضد الخديوية، مستخدماً أخبار جشع وترف الخديوي لتحقيق الثورة، ثم بعد أن استلموا تحولوا إلى كلاب بل ذئاب جائعة، فكان هناك قبل الثورة: باشوات مترفون، وبعد الثورة صار هؤلاء الضباط وعائلاتهم: سوبر باشوات.

قراءة حياة المؤلف وما كان فيه من المناصب ثم الصعاب والمصائب تدلك أنه ثوري في داخله، فقد أشار لتشكل الطبقة الجديدة وهو نائب جوزيف تيتو في رئاسة الدولة، ومع ذلك نقد هذه الظاهرة، فسجن، ثم خرج، وحوكم مرة أخرى وسجن، وهكذا، حتى انتهت الشيوعية من بلده يوغسلافيا، والتي تكسرت وانتهت إلى دويلات متعددة.

الرجل لم يفهم أن الثورية الشيوعية لعبة كاذبة، لم يصدقها أحد إلا الأغبياء أمثاله، اتخذتها كل طائفة للوصول للسلطة والسيطرة، ثم البذخ وسرقة مقدرات الشعب، لتنعم به لوحدها، ولذلك وجد اليهود بغيتهم في هذه الفلسفة في كل وقت، لأنها تصلح أن يطبق من خلالها أن اليهود شعب الله المختار (الحزب الحاكم) والبشر بهائم خلقوا لخدمتهم (وهم بقية عموم الشعب)، وكذلك اتخذتها الأقليات للوصول إلى مبتغاهم في كل حالة.

مع كل منعطف تغييري، حتى لو كان قدرياً يوجد طبقة جديدة، كما شرح هذا في كتاب "عقيدة الصدمة"، هذه الطبقة تستغل الظرف، والثورة لتصنع تجار دم وحروب ومناصب، ولم يخل كل وقت من هذه الظاهرة.

مع العمل في الإسلام يوجد هذه الظاهرة، فهناك من يستغل العلم، ونشر الكتب ليخرج من قاع المدينة ليكون الشيخ المقدم، ويصبح طبقة جديدة، تسلم الرعاع لها رقبتها، وترضى أن تستخدم مطية للخدمة.

في عالم المشيخات كلها كذلك، فيها هذه الظاهرة، سواء كان في المتصوفة أو غيرها، حتى السلفية، لا تخلو من هذه الظاهرة، ونقول: الظاهرة، لأنها حالة غالبة غير خفية، بل تصبح الأصل.

في العمل السياسي وجد من اتخذ الحزب وسيلة للوصول للسلطة ثم نبذ الحزب وعاداه، وصار في صف أعدائه.

مع العمل الجهادي: الحالة مختلفة، فلا تنتظر سوى الشهادة، وهذا له تفصيله، ولكن ليس هنا.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤١)

قواعد الشيوخ

غسان محمد دوعر

[٦ أكتوبر ٢٠١٨ – ٢٦ محرم ١٤٤٠]

هذا الكتاب يكشف لك تشوف المسلم للجهاد، ولتشوفه أكثر إن كان الجهاد من أجل الأرض المباركة فلسطين، وأن المسلمين لم يألوا جهداً في تحقيق هذا الجهاد، وقد تختلف معهم في الأسلوب وإدارة هذا الجهاد، وقد تختلف معهم، ولكن في النهاية تقر أنهم أهل صدق، وأهل إرادة، وأنهم لتنفيذ عزائمهم ينحتون الجبال، ويأتون كل ممكن يستطيعونه.

يمكن لك أن تضع ألف تساؤل، وألف اعتراض على سلوك طريق الجهاد الذي سلكه هؤلاء، ولكن يمكن لهم كذلك أن يقولوا ألف ألف تفسير لما فعلوه، وهذا هو إعذار الصادقين لبعضهم، وكذلك هو فتح باب العلم الذي لا يجوز أن يغلقه أحد.

في هذا الكتاب يروي صاحبه ومن خلال المقابلات الشخصية لشهود تلك المرحلة، ومن بقي حياً منهم، من فاعلين وشهود، وآثار، حقيقة ما سمي بقواعد الشيوخ، وهي التجربة التي خاضها رجال من جماعة الإخوان المسلمين لتحقيق قتال اليهود، ضمن ظروف ضيقة صعبة، يمكن لبعض الباحثين أن يحمل قيادة الإخوان بعض مسؤوليات التقصير، حين آثرت الجماعة –كما قال المؤلف– السكون والابتعاد عن مجريات الفعل والتأثير، وخاصة تلك المتعلقة بقضية فلسطين، تستدعي وقفة موضوعية تدخل في باب النقد والمحاسبة (ص٢٢).

وهذا اعتراف بهذا التقصير، وباتخاذ القرار الخطأ، وهذا مما يوجب بيانه ونشره.

هذا القرار الخطير، والذي ترك الساحة للحركات القومية واليسارية تنمو وتملأ الفراغ، هو الذي أدى لبعض نتائج هذه القواعد، وهو اضطرار شباب الجهاد في تنظيم الإخوان إن أرادوا الجهاد في فلسطين أن

ينضموا تحت راية تنظيم فتح العلماني، وهو قرار أدى لبعض القيادات بترك الإخوان والذهاب لفتح والعمل معها، حتى قال مؤلف الكتاب: لقد كان المؤسسون الأوائل لحركة فتح من الإخوان المسلمين باستثناء ياسر عرفات.

طرفة: جمعتني جلسة مع صديق إخواني قديم، وجاء ذكر أحدهم وأفعاله السوء، فقال متأسفاً: هذا رجل مكث إخوانياً ثمانية عشر عاماً، فقلت مازحاً: أخاف أن يخرج علينا خبر أن آرسين لوبين كان إخوانياً يوماً ما.!!

أقول هذا لكثرة من كان إخوانياً ثم انقلب وتغير، وجاءت منه العجائب.

نعود إلى الكتاب:

بعد جريمة حرب وخيانة ١٩٦٧ صار تملل شبابي إخواني بوجوب المشاركة بالجهاد، فكان أن اجتمع بعض قياديهم، وتفتقت رؤيتهم أن تنشأ قواعد لهم (أي للشيوخ أصحاب اللحى والمصلين) تحت راية فتح، فتمدهم بالسلاح والتدريب، وتخرج لهم عمليات، تنسب سياسياً وإعلامياً لحركة فتح، كما أصر عرفات.

اتفق الطرفان على هذا التشكيل، فنشأت قواعد (أي معسكرات) الشيوخ، وكانت تراثاً يجب قراءته والاستفادة منه، ورؤيته بعين علمية ونفسية مهدية، بلا تشنج يرفض النصح، كما هو بلا نقد لا يراعي الحال والمقام.

الكتاب فيه جانبان جيدان ومهمان:

أولاهما وهو المهم أنه لا يبرئ القيادات من أخطاء تلك المرحلة في كل ظروفها وقراراتها، بل هو يؤيد ما قاله الشيخ عبد الله عزام في شرحه لميثاق حماس أن الحركة الإسلامية (وهو الاسم الذي تحب جماعة الإخوان المسلمين استخدامه وقت المحن لتجلب الأنصار إليها) قصرت من ناحيتين: أولهما أنها تأخرت في التحرك للجهاد من أجل فلسطين، وثانيهما: قلة عدد المشاركين في قواعد الشيوخ مما جعل أثرها ضعيفاً وغير مهم (انظر الكتاب ص١٣٦) والمرجع هناك لكلام الشيخ.

فهي تجربة غير مكتملة، ولا هي نموذجية، وعليها ما عليها من ملاحظات تتعلق بالقيادة وإدارة الصراع، وللأسف فإن بعض الأحياء ممن قابلتهم يتحدثون بشيء من الألم لتعامل قيادتهم مع هؤلاء المجاهدين وهذه القواعد.

أما الجانب الثاني في هذا الكتاب، وهو كتاب يشكر عليه صاحبه، فهو كشف طاقات الأمة، وطاقات المجاهدين، وحماسهم، وقدرتهم على العمل ضمن الممكن والمتاح، وتحديهم الظروف، وهي حالة إسلامية مبدعة، يصنعها القواعد، وتتحنط أمامها القيادات، فهذا الكم من الشهادة والتفاني يعني أن هذا الجهاد لو فتحت أبوابه كما ينبغي لصنع العجائب، ولحقق المراد، لكنه دوماً يقزم حتى يباد، ويحاصر، ليس فقط من خصوم الإسلام ولكن حتى من قيادات ترتبط بعض الأحيان بمصالح ذاتية أو متوهمة مع الواقع الخسيس.

الكتاب شهادة مهمة لهذه المرحلة، ولم يألُ جهداً في كشف كل الجوانب التاريخية والنفسية لما يحتاجه الباحث.

هذا الكتاب يضم إلى مثيله الذي كتبه الأستاذ كامل الشريف عن دور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين، وذلك على الجبهة المصرية، ولا شك أن في هذا الكتاب بعض المنافع.

في العالم السجالي لدور الإخوان وحقيقة تفاعلهم مع القضية الفلسطينية خلاف كبير بينهم وبين خصومهم، وهؤلاء الخصوم ليسوا من لون واحد، بل هم من ألوان متعددة، والكثير منها يقوله على جهة تصحيح التاريخ، فلا يجوز اتهامه، وبعضهم على جهة خلاف الدين والعقيدة، وهؤلاء لن يرضوا عنك قط حتى تتبع ملتهم.

حتى وهذا الكتاب يمدح هذه القواعد، ويربط وجودها بالقيادة إلا أنه يعلمك أن كل تجارب الجهاد التي قامت بها هذه الجماعة، أي الإخوان المسلمين، وهي كلها ضد أجنبي محتل، كان قرار الجهاد صادراً من الأسفل للأعلى، أي ينشأ هذا الجهاد بضغط القواعد على القيادات.

لست مستبعداً هذا الاضطراد في مراحل الجهاد القادمة، حتى وهي تتسع، وتصبغ العالم الإسلامي بلون واحد، وهو الجهاد في سبيل الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٢)

صائد الجواسيس

بيتر رايت

[١٠ أكتوبر ٢٠١٨ — ٣٠ محرم ١٤٤٠]

لعل هذا الكتاب هو أصدق كتاب يحكي عن عالم الجاسوسية من داخلها بلا تزيد، بل كما هي، أو قريباً منها، وأنا هنا أتكلم عن الكتب الغربية، وأما الكتب العربية فهي تهريج وكذب واستخفاف بالعقول، وخاصة لما تحكي هذه الكتب العربية عن نشاط ومهارة المخابرات في الدول العربية، ثم تزداد الأكاذيب، وينطلق الخيال حين تتحول إلى السينما والتلفزيون كما فعلوا بأسطورة الدجل: رأفت الهجان، فحينها ترى سمادير المحششين تنفلت بلا عقال، فإياك أن تصدق أن عملاً مخابراتياً في ديار العرب كان يعمل بجد ونشاط إلا على أهل البلد فقط، إذ هذا مجال نشاطهم، وحين تعلم أن طرق البحث عن الحقيقة تتم بوسيلة واحدة هي الضرب والسحل وشراء الذمم تعلم مقدار الإبداع الذهني الذي يصل إليه هؤلاء في هذه الأجهزة، ولذلك كل القضايا التي ترسل إلى المحكمة ممهورة بدليل واحد: الاعتراف، وفقط، أو ما يسير في ركابه، أي الاعتراف على نفسه، واعترافه على غيره، ومع مكوثي في السجن في بريطانيا لمدة تزيد عن إحدى عشرة سنة ميلادية تامة، لم أر حادثة واحدة أن كان الدليل المرسل للمحكمة هو الاعتراف، بل غيره، وإن حصل اعتراف بالجريمة من أحد، إنما يكون في قاعة المحكمة، وضمن مقايضات بين المتهم والادعاء، يخفف عنه العقوبة، وذلك عندما يشعر المتهم أن الدليل ضده لا يمكن الطعن فيه.

في عالمنا العربي كلمة واحدة: واعترف المتهم بكل التهم المنسوبة إليه، وقد يزيدون: من غير إكراه ولا ضغط، وليتهم زادوا: وهو يشرب العصير، ولو أخذت المحاكم بأن الاعتراف خارج المحكمة لا قيمة له لما أدين أحد إذا كان القضاء عادلاً.

نرجع لهذا الكتاب المهم:

من الصعب الحديث عن هذا الكتاب بكليمة، بل لو قرأه المرء فإنه بحاجة لدليل خارجي عنه ليفهم القضية التي يتحدث عنها بيتر رايت، وخاصة ما يسمى بمجموعة الخمسة، وهي مجموعة مخابراتية للسوفييت كونت في جامعة كمبريدج، ووصل أفرادها لأعلى المناصب، وبعضهم صار مسؤولاً مخابراتياً عالياً كفيلبي، وفيلبي هذا هو ابن عبد الله فيلبي الذي ادعى الإسلام وكان يعمل في قصور بعض العرب، ومن الخير الاطلاع على مذكر فيلبي الابن ففيها الكثير، وقد تم كشف أربعة منهم، وبقي الخامس؛ وبيتر رايت يرى أن الخامس هو رئيس المخابرات البريطانية الداخلية، MI٥ واسمه روجر هوليس، لأن المخابرات الخارجية هي MI٦.

هذا الكتاب يحكي مسيرة بناء المخابرات البريطانية خلال حقبة الحرب الباردة، وكيف كان الصراع المخابراتي على أشده، وكل طرف يسجل نقاطاً ضد الآخر، وإن كان السوفييت في ذلك الوقت أكثر تسجيلاً للنقاط بسبب انبهار الشباب الأوروبي بالفلسفة الشيوعية.

في هذا الكتاب وصف تفصيلي لتطور التجسس الإلكتروني، حيث بدأ كل طرف يبدع في صناعة الأدوات التجسسية، وكيف كان السباق في هذا الميدان على أشده، كما يبين بعض أعمال المخابرات ضد المؤسسات، والدول، بل محاولات القتل كما يشير إلى محاولة المخابرات البريطانية الخارجية اغتيال عبد الناصر، وكما يكشف اتهام الأمريكان لرئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون أنه مجند للمخابرات السوفياتية.

منذ الكلمات الأولى لبيتر رايت وهي تظهر نقمته على المؤسسة الحاكمة من جهة عدم رعايتها لمنسوبيها، فقد أظهر قبح فعالهم مع أبيه، ثم تخلل هذا الشعور في كل ورقات الكتاب، وحتى الكلمة الأخيرة، بل اعترف في المقدمة أن الدافع لكتابة هذا الكتاب هو محاولته أخذ حقه في التقاعد الكامل ليعيش هنيئاً بقية عمره في أستراليا مربياً للخيول، والحق أن هذا الكتاب أدخل عليه الملايين، وجعله يختم حياته في جزيرة تاسمانيا، إذ مات سنة ١٩٩٥.

لخطورة اتهامات رايت ضد رؤسائه، وخاصة جزمه عن رئيس المخابرات الداخلية أنه مدسوس روسي في الدائرة، منعت تاتشر دخول الكتاب لبريطانيا، فأحدث المنع ضجة، صنعت هذه الضجة شهرة كبيرة

للكتاب، وهذه الشهرة يستحقها الكتاب بما فيه من غزارة معلومات، مع ما فيه من تبجح نفسي لكاتبه.

عندما تقرأ هذا الكتاب تعيش عالماً احترافياً، يتعامل فيه ضابط المخابرات بوطنية مخلصة لبلده، وأنه جزء من نظام الحماية، كأي سلطة أخرى وطنية، مع أن بيتر ينفي أي معنى للوطنية في العمل المخابراتي، لكن كذلك مع شيء من الشخصانية، والصراع الداخلي بين الأفراد ليكون هو دون غيره.

المخابرات التي تعتمد على تجنيد أبناء بلدها القوميين، تختلف عن تلك المخابرات التي يأتيها العقائدي ليقدم خدمة لبلده العقائدي، وبالتالي كان شأن اختراق السوفييت في مرحلة ما بعد الحرب الكونية الثانية سهلاً لأن الكثيرين من شباب الجامعات كانوا شيوعيين، ومثل هؤلاء كانوا يحملون المظلية إذا نزل المطر في موسكو، لكن الكثير منهم كذلك ارتد وهرب من الاتحاد السوفياتي ليقدم معلومات خطيرة عن بلده، لما رأى من أكذوبة اليسار والاشتراكية ودعاويهما، ولكن كان مما يوقع التخبط في الدوائر الغربية هو الشك في هؤلاء المنشقين، هل هم حقاً كذلك، أم صنائع استخباراتية للإفساد؟

هذا يتحدث عنه بيتر رايت في كتابه.

كما يكشف الكتاب الصلات الغربية المخابراتية، كما يكشف التنافس بينها في تلك الحقبة.

يعترف رايت أن الأدوات اليوم عندما استقال وكتب الكتاب بعد ذلك قد تغيرت، فما كان ممنوعاً من تجنيد الفتيات مخافة سوء الأخلاق وغضب الزوجات، صار أصلاً، وما كان شاقاً الحصول عليه صار سهلاً ميسوراً، فقل إبداع العاملين في هذه الدوائر.

من المهم قراءة هذا الكتاب، والتنعم فيه، وملاحقة همة هذا البريطاني الذي هو سليل عائلة عاشت في عالم المخابرات أربعة عقود، للتعرف على هذا العالم من داخله، وما فيه، في حقبة ذهب أكثرها وبقي بعضها.

في هذا الكتاب الكثير من التفاصيل الصغيرة، لكنها مهمة، ففيها يمكن نزع الكثير من التصورات الوهمية حول هذه الدوائر.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٣)

محمد عبد الخالق عضيمة: سيرة حياة

تركي بن سهو العتيبي

[١١ أكتوبر ٢٠١٨ – ١ صفر ١٤٤٠]

قال أبو بكر بن مجاهد إمام من صنف في القراءات:

كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال لي: يا أبا بكر؛ اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أهل الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو (أي بعلم النحو)، فليت شعري ما يكون حالي في الآخرة؟!

قال ابن مجاهد: فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس مني السلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل.

انظر السير ووفيات الأعيان.

هذا الخبر يستشهد به شيخ النحاة في هذا العصر الشيخ الدكتور عبد الخالق عضيمة رحمه الله خائفاً على نفسه، دون أن يذكر الرؤيا، وذلك على طريقة الكبار في ترك ما في الخبر من تزكية.

(انظر كتاب محمد عبد الخالق عضيمة، ص ٤٠).

بعض الخلق يظن أن الإسلام به ابتدأ، وعند علومه وقف، وذلك لضيق أفقه، وقلة عقله، وعدم علمه بفضائل الخلق، ولا هو مطلع على تنوع فضائل الشرع، ولا معارك الدين، فكل خير لا يأتي من وجه ما يعلم فليس بعلم، وإن أحسن فهو من ملح العلم عنده لا من أصله، وكل فضل في الخلق ينزل عليه أولاً ثم يتوزع في الناس، وإن قيل له: اذكر فضائل الخلق في الوجود، لم يربطهم إلا بما معه من علم،

ولا يقول فيهم من خير إلا وازنهم بميزان عقله وعلومه وموافقتهم له، فكأنه قطب الوجود، وعينه، وما أوتي إلا من قبل جهله بالعلوم وتنوعها في الشرع، وقد يبلغ المرء فيما هو فيه من العلم ما يبلغه غيره من علم يرتبط بالشرع وأحكامه، وذلك لأن الله نوع الأبواب في الدخول عليه، وجعل فضائل الدين متفرقة بين العلماء والعاملين.

أقدم هذا الكلام تنويهاً لفضل هذا الشيخ الذي أفرغ حياته مع النحو، وخدم كتاب الله خدمة عظيمة، وذلك في كتابه العجيب "دراسات في أسلوب القرآن الكريم"، وقد استغرق في كتابته ما يقارب ستة وثلاثين عاماً، رحمه الله تعالى.

عاش مع القرآن، ولغة القرآن، ثم لما أخرج هذا الكتاب نوه الشيخ محمود شاكر أن هذا الكتاب ليس كتاب فهرسة، بل كتاب يصلح للدخول في علم إعجاز القرآن الكريم، والذي ما زال مفتوحاً لكل مجتهد.

كتاب "محمد عبد الخالق عضيمة، سيرة حياة" لتركي بن سهو العتيبي كتاب رائع، وكاشف عن جوانب عظمة هذا الشيخ الجليل، يعرف به، وبمقالاته، وبحياته، وبشيء من سيرته، وحين تغوص فيه تشعر أنك أمام إمام عظيم، خرج من التاريخ ليحيا في هذا الزمان، ينافح عن العربية، والنحو فيها خاصة، باقتدار عجيب، فهو لا يرد على المعاصرين فقط، ممن ابتلي بهم هذا الزمان، وما يطلقونه من أحكام سريعة بلا تدبر ولا فكر، ولكنه يرد على الكبار، من أمثال ابن مضاء الظاهري في كتابه الشهير "الرد على النحاة"، وفي هذا الكتاب من المقالات العظيمة، وذلك لجمعه بعض أخبار الأحنف بن قيس، وبعض فوائد أبي حيان الأندلسي في تفسيره، وهكذا، يجمع مقالات كثيرة للشيخ، لعلها توصلك إلى قيمة هذا الجبل الكبير.

عندما يرى المرء تنوع العابدين، ومسالكهم، يرى قيمة نفسه، ويرى قيمة العظماء، ويصح ميزانه في الرجال، وتتسع آفاقه في معرفة مساحة المعركة التي يحياها هذا الدين.

لقد حورب ديننا في لغته، وحورب في تاريخه، وحورب في قيمه، وحورب في استقراره في قلوب أهله، وفي أرضه، وأمواله، وفي وجوده كله، وحين ترى المجاهدين في كل ميدان يتعبدون ربهم في الدفاع تعرف أن

الذين يحصرون البطولة بميدان دون غيره مخطئون، ويصح عندك قول من قال: من قل علمه كثر اعتراضه، وحينها يكون الغرور، ويكون الظلم، ويحصل البلاء.

هذا كتاب أنصح به كل طالب علم، فجزى الله جامعه خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٤)

فتور الشريعة

أحمد عاطف أحمد

[١٥ أكتوبر ٢٠١٨ – ٥ صفر ١٤٤٠]

أفهم معاناة المفكر وضع أي علوم لها ارتباط عضوي بقوالبها التي صيغت فيها في سياقات أخرى مخالفة، وقد أتسمح في الحكم عليه إن وقع منه الخطأ المقارب للجهد في بذل الصدق والحق مع هذه العلوم، كما أفهم أن يخطئ المرء في الفروع في فهمه لكلام تاريخي غابر إن استقامت له أصول هذا الكلام، لكن يصبح المفكر خائنا حين يزور المعاني لتستقيم مع الأطر الفكرية الجديدة، ويصبح المفكر خائنا أو خائبا حين يجهل أصول الفكر الذي يبحث فيه، وهكذا حال صاحب هذا الكتاب مع الشريعة الإسلامية.

كل طالب علم يعلم الخلاف القديم، والدائر بين فقهاء الكلام والأصول في مبحث جواز خلو الزمان من مجتهد، وهذا أمر يسير بوضوح في ذهن المبتدئ الشادي لعلم الكلام والأصول، ولكن كل هذا يفهمونه ضمن إطار القدر، وضمن إطار الجواز القدري الكوني لا الشرعي، وحين يقول طالب العلم الذكي إن هذا الأمر هو من باب القدر فهو يخرجه من دائرة الإثم، كما يخرجه من دائرة الحب الإلهي، ويعني هذا أن وقوع الشيء قدراً لا يعني أن هذا جائز في الشرع، وحين يختلف الأصوليون والمتكلمون في باب خلو الزمان من مجتهد لا يعني جواز الحكم بغير الشريعة، كما لا يعني أبداً جواز التحكم بالشريعة لنبعدها عن الحياة بحجة أن الأصوليون يجيزون خلو الزمان من دين، أو من مجتهد، ثم إن خلافهم بعد ذلك فيما يمكن قدراً أن يزول، لمن رأى إمكانية خلو الزمان من مجتهد، أو فيمن يبقى لمن أوجب بقاء المجتهد قدراً لا يعني جواز ترتيب الحياة وفقاً لعقولنا، ثم وهذا مهم في تفهيم هذا الرجل أن قول المعتزلة بالتحسين والتقبيح العقليين لا يعني أن المعتزلة يجيزون استقلال العقل بالتشريع.

كل هذا الذي يجوزونه، ثم لا يرتبون عليه هذه الترتيبات العلمانية الجاهلية يأتي إليها كاتب هذا الكتاب ليفسدها، مع سبق الإصرار والتعمد كما يقولون.

عنده:

– وجود الخلاف يعني جواز الانتقاء، لكن بغير هوى وشخصانية، ولا ندري من الذي يخلو من هذا الهوى وهذه الشخصانية.

– وجود من أجاز خلو الزمان من مجتهد يعني جواز الأخذ من مصادر أخرى غير الكتاب والسنة.

– وجود خلاف حول ما يبقى قدراً ولا يمكن زواله قدرا يعني عنده أن الناس اختلفوا، وبالتالي الحل هو العقل في التشريع تحليلا وتحريماً.

– تزوير وكذب على التاريخ، حيث يصيغ أفكار الماضين بعمومية تخضعها لرؤى علمانية معاصرة، فابن رشد الذي يرى اتصال الوحي بالحكمة يعني عنده إمكانية تحصيل الشريعة من العقل، ومع أن هذا لم يقع في التاريخ قط، إلا أن هذا كذب على ابن رشد، لأنه هو واضع بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وشارح مصادر الشرع والتحليل والتحريم، وإنما يقول ابن رشد، مع عدم موافقته لكليات ما يقول: إن كليات الوجود بتعقل الإله والحق بمكن إدراكها من خلال العقل الفطري، واستخدام أدوات العقل الصناعي.

– عندما يقول الجويني بجواز خلو الزمان من سلطان شرعي يجمع الناس تحت مفهوم الأمة، ويضع حلا إبداعيا قد يوافق عليه وقد يخالف، إلا أنه لا يجيز البقاء على هذه الحالة باعتبارها وجها شرعيا مقبولاً.

– عندما يختلف الناس حول ما هو محفوظ من القرآن، أهو نصه أم موضوع الحق فيه، فهذا لا يعني ترك القرآن بلا استفراغ وسع لمعرفة حكم الله فيه.

كل هذه التركيبات التي يأتي إليها هذا الدرعمي (نسبة لدار العلوم) تعطي الناظر إليها أن صاحبها إما جاهل جهلا مركباً، وإما صاحب قصد السوء والشر، والثانية هي الأقرب، لأنه في حوار له يجعل موضوع كتابه بقوله للسائل عن خلاصته: هي حالك!

يعني نفس كلام العلمانيين: أي شريعة تريد حين تدعو لتطبيق الشريعة.

يا لخسارة انتظار هذا الكتاب، ويا لخسارة الوقت معه، فالمرء بالكاد يجد وقتا أن يقرأ ما هو واجب حتى يضيعه مع هذه تفاهات.

ومع ذلك فأنا أجزم أن هؤلاء لا يكتبون لأمتهم، بل يكتبون استدعاء الدخول في رضا الأعداء.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٥)

حروب العهد القديم

يزن ملكونيان

[١٧ أكتوبر ٢٠١٨ – ٧ صفر ١٤٤٠]

أنبياء الحرب في التوراة

من يتابع الحالة الدينية للنصارى عندنا يلاحظ اهتماماً ما حول قضية تبرير القتل الدموي الذي ينتشر بين الجماعات ضد المخالفين، وأن هناك تهمة ضدهم أن هذا الذي ينتشر ويحدث شيء يسير أمام أخبار أنبياء التوراة ودمويتهم ووحشيتهم كما يقولون، والنصارى معنيون بالعهد القديم (التوراة، ولواحقها) كما الإنجيل، ولذلك هم يشعرون بالحرج أمام انتقادهم هذا العنف الدموي كما يسمونه إذ يجادلهم المخالف أن أنبياءكم التوراتيين فيهم شهوة القتل، وفعل الذبح أكثر من هذه المشاهد المعاصرة، والحديث لا يدور حول اليهود، فهم لا يدعون المحبة، ولا حب السلام، ولا هم معنيون بحب الآخر، في أزمنتهم كلها، ولا في زماننا هذا، ولكن المشكلة في النصارى حيث يحاولون إبداء ثوبهم الأبيض، ومحبتهم التي لا يقهرها شيء من ظلم وعنف وسوء المخالف.

لم أكن أظن أن هذا يحرج اللاهوتيين من النصارى كما يسمونهم بحيث ينصبوا أنفسهم لرد التهمة، وتبرير القتل التوراتي العجيب حتى أهداني قس نصراني كتاب صاحبه، واسم الكتاب "حروب العهد القديم، ما بين الوصف والوصفة" ليزن ملكونيان، ومع أن العنوان سيء من جهة عربيته، إلا أنني لا أتوقف أمام هذا في الحوار معهم لأن من أعظم مشاكل اللاهوتيين النصارى العرب هو ضياع تذوقهم للغة العربية، بدءا من كتابهم، ونهاية في طرق تفسيرهم للكلمات، ولذلك لا تجد منهم أحدا يتكلم العربية الفصيحة، لأنها ليست مهمة في فهم تأويلات الكتاب عندهم.

هذا الكتاب أخذني للتجوال حول تفسيرات يقولها غير هذا المؤلف، فوجدت أن الكل يسير نحو التأويل الموهم والمموه لحقيقة أفعال أنبياء التوراة المقاتلين، ومقدار عنفهم ضد الخصوم، حيث يتجاوزون قتل البشر إلى قتل الطير والطفل والدواب، ولا يقفون عند القتل بل يتجاوزونه للحرق والإفناء.

الله محبة، هكذا شعارهم، ويجعلونها طبعا لا فعلا، يعني أنه لا يقدر تجاوز الحب، فلم يغضب حتى يرسل أنبياءه لقتل خصومه؟!

الجواب: لأنهم فعلوا الشر في عين الله، حسب عبارة الكتاب الديني عندهم.

وحسب هذا الكتاب: حروب العهد القديم، لأنهم فسدوا دينيا وخلقيا، فاستحقوا الإزالة والإفناء.

كان خصوم هؤلاء الأنبياء من الكنعانيين مثلا على الوصف التالي كما يقول المؤلف بعد رحلة استدلال من الكتاب نفسه: إذا نظرنا إلى ممارسات شعوب كنعان وأسلوب حياتهم من منظور تاريخي، ومن منظور روحي بحسب الكتاب المقدس! وقد كان استمرار تلك الشعوب في ممارسة انحطاطها الأخلاقي والديني يعد خطراً على الأنظمة الكونية والطبيعية والأخلاقية والدينية، فيما يرى هو شر متفاقم وانحلال خلقي آخذ بالازدياد. ص ٧٦.

ثم لنتجاوز شرحه لم كان اليهود شعب الله المختار، والذي يتخذهم الله لقتل وإفناء خصومه، بل وحرقهم، لكن يبقى السؤال: على كل قواعدكم النفسية، وأتجنب العقلية، لأن حالة الإيمان المسيحي حالة عاطفية بحتة، لا علاقة لها بالعقل والتعقل، ولا الفكر ولا التفكر، هل كان هذا هو الحل الأمثل في إزالة الشر من هذه الأمم التي خالفت اليهود، لا بسبب فعل الشر كما يحاول قصرها هذا المؤلف وغيره، ولكن بسبب أنهم ليسوا من ذرية إسرائيل، فالحالة النسبية حاضرة بحسب النص التوراتي؟

هل كان إزالة الشر يقضي هذا الإفناء للشجر والدواب والأطفال والنساء كما يصرح العهد القديم؟!

أليس للعقلاء الذين يذوبون حباً في البشرية تمثلا لحب الله للخلق أن يجدوا وسيلة تخلص المظلوم من الظالم غير هذه الوسيلة العجيبة؟!

لماذا تؤولون كل هذا التأويل العجيب لحالة هيجان سفك الدم وحرق الآخرين، ولا تحاولون تصور الحالة النبوية المحمدية في ضرب الزعيم وطائفته حتى يخلو للناس حرية اختيارهم؟!

ثم إن الكتاب يقرر خروج الشعب اليهودي من لازمة شعب الله المختار، فهل هذا يعطي الشعب الآخر الذي حمل الرسالة أن يفعل بهم ما فعلوه بمن مارس ممارستهم، فيحرق اليهود ويفنيهم ويقتل رجالهم وأطفالهم ونساءهم، أم أنكم لا تقولون بدوام الشرع الإلهي في الجمع بين الحب والغضب كما يشرح الكتاب؟

على كل حال فإني أشعر برهق هذا الكاتب حين يصير إلى هذه الكلمة، وهي كلمة هروب بعد محاولة الدفاع والتفسير، يقول: وأخيراً أود أن أشير إلى أن إحدى اهم النقاط الواجب اتباعها في حوار الأديان هي أنه يجب مقارنة النصوص بنصوص، وليس مقارنة بأفعال. ص ١٥٤.

ويمكن لك أن تتسمح له حتى لا يكثر عرقه ويلهث مبتعدا، لكن أسمعه كلمة واحدة، وهي أننا أمام كلام لرب اليهود كما يتصورونه، هو الذي يأمرهم بالحرق والتدمير والإفناء، فهذه كلمات ونصوص، وما الفعل إلا ظل لها.

كليمة في كتاب (٤٦)

الأصولية الإسلامية في العالم الإسلامي

ريتشارد هربر دكمجيان

ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد

[٢٩ أكتوبر ٢٠١٨ — ١٩ صفر ١٤٤٠]

هذا الكتاب مهم جدا، وضروري من جهات متعددة، من أهمها أنه من أوائل الكتب التي أظهرت رصد الغرب للصحوة الإسلامية، ذلك لأن القراءات التقليدية في أذهاننا في تعامل الغرب معنا إنما هو من خلال نظرة الاستشراق التقليدية القديمة، والتي في جوهرها جانب ثقافي أكثر منه جانب سياسي عملياتي، وجانب فكري تجريدي أكثر منه دراسة للجانب الاجتماعي والحركي لواقع الحركات الإسلامية، وهو كتاب متقدم الدراسة لمجتمعاتنا التي بدأت تصحو على إسلامها، لا النسكي في جانبه العام، ولكن بكون الإسلام حركة فاعلة في الوجود، لها رؤيتها، وطموحها، وقدرتها على تحقيق مكاسب واسعة، وعندها القدرة على تحقيق خطوات عملية ضد خصومها، ونحو أهدافها.

كما يعترف الكاتب بأن هذا الجانب من الدراسات الأمريكية خاصة، والغربية عموما، بدأت بعد ظاهرة تأثير الإسلام في واقع المجتمع، وأخذه دوراً مهما في صناعة الأحداث، من حركة جهيمان، إلى حركة الخميني، إلى الجهاد الأفغاني، إلى قتل السادات، وبداية العمليات الاستشهادية ضد اليهود في فلسطين؛ وبالتالي تنبه الغرب لهذه الظاهرة، والتي سميت يومها أكاديمياً وإعلامياً بالأصولية الإسلامية، والتي تطورت بعد ذلك إلى الإرهاب الإسلامي.

ريتشارد هذا أرمني عاش في حلب، في وسط عربي وإسلامي، وبالتالي هو يتكلم عن ثقافة ليست أجنبية عنه، ويقدم خدماته للدوائر الأمريكية، على المستوى الرسمي والأكاديمي، ومن نظر إلى كلماته ونتائجه رأى مقاربات داخلية قريبة جدا، بغض النظر عن تعليقات المترجم، والتي لا تخدم في بعض

جوانبها الفائدة للداعي والمجاهد، وذلك بأن يقرأ دون البحث عن جوانب النقد، بمقدار البحث عن رؤية الآخر لنا.

في رصد محكم من صاحب الكتاب يتحدث عن ظاهرة البروز العلمي أمام الانهيار السياسي، في أعمدة رياضية توصل إلى معان مهمة في هذا الباب، وربما نحتاجها في تفسير ظاهرة الصعود الذي لا ينتهي لهذا الدين، وذلك حين يظن الآخر وبعض منا أنه تلاشى أو ضعف، أو خف تأثيره.

يرصد الكاتب ظاهرة عجيبة لحصول (الغضب) وامتداد الصحوة، والتأثير الإسلامي على الحوادث، وذلك بوجود أمرين:

- قيادة آسرة، وفي هذا يلتقي مع صاحب كتاب الحرب العالمية الرابعة.

- وجود مجتمع مضطرب.

والرجل يرى أن هذين الشرطين قد تحققا، وبالتي بدأت مسيرة التغيير.

خلال مسيرة شرحه أن المجتمع المضطرب قد تحقق (وكلامه هذا سنة ١٩٨٤) يرصد التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت على الأمة منذ سقوط الخلافة، وأن كل الأفكار القادمة، والغريبة، وغير الأصيلة، كانت تعاني دوماً عدم الشرعية، وأنها بالتي أفسدت أكثر مما أصلحت، والنتائج التي أفرزتها هذه القوى الحاكمة كانت كارثية على هذه الأمة.

أما موضوع القيادة الآسرة؛ فهو يرصد حركة (العلماء) تاريخياً، ودورهم في إحداث التغييرات الكبرى، وأنه بحسب لفظه فإن رواد القيادة دوما كانوا هم العلماء.

من عجائب ما يقرره أن الحركات الإسلامية مع تنوعها إلا أن هناك ثمة قاسم مشترك بينها، هو المضمون والهدف، هذا مع اعترافه بالخلافات الكبرى بينها، ولذلك فالأصولية خط جامع لكل من أراد عودة الأمة لجذورها، ويريد تحقيق الدولة المسلمة العادلة، ويؤمن بالأمة المحمدية الواحدة.

المقدمات الأولى للكتاب مهمة جدا، لأنها تستعلي في شرحها عن الدخول في الجماعات والتنظيمات الزمنية الصاعدة والذاهبة، ولكنها تشرح أسس تقييم الفعل، وردة الفعل، ومساحات العمل،

وكلياته، دون الدخول في تفاصيل متشعبة، استمرأنا بحثها في داخل الصف المسلم، لأنها سمة التفرق الذي نحب العيش فيه، ذلك لأن التفرق عندنا يعطينا خصوصية الفرقة الناجية دون بقية أهل السنة، المجتهدين في زمن الاستضعاف والخروج من التيه.

كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي أشعرت العامل للإسلام أنه دخل في مرحلة التأثير العالمي، وأن خط البداية للصعود الإسلامي من مرحلة الغياب إلى الحضور، ومن مرحلة الرصد للمشاركة إلى مرحلة الوراثة، لا بما يتوهمه البعض أنه كبير وهو لا شيء، ولكن هذا يقوله من يهتمون بحركات التاريخ.

هذا الكتاب يعلمنا رصد الظواهر، لا باعتبار خلق مرضي يتلبس به أفراد، ينشر به صاحبه ثقافة اليأس، وأننا أمة ميتة، ولا أهمية لها، لأن فينا من يكذب، وفينا من يسرق، وفينا من يكتب هراءً لا قيمة له، فيظن أنه يكتب علما، وما هو إلا زرع لليأس، وجاهل في دراسة الظواهر.
الظواهر ترصد الحركة من خلال وجودك على خارطة الفعل الكوني، ومن خلال التوجه الكلي لحركة الأمة، لا من خلال الذهاب للفعل الذاتي لصديق غضبت عليه، فذهبت تسب الأمة جمعاء.

هذا كتاب مهم، مع أنه قديم، وأكرر فأهميته في تقرير قواعد رصد ظاهرة عظمى، كانت يومها تتنفس بصعوبة، وهي اليوم تشغل بال العالم، كما أنه يعلم كيف ترصد الظواهر الكونية.

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٧)

مكايد يهودية

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

[٩ ديسمبر ٢٠١٨ – ١ ربيع الثاني ١٤٤٠]

كتب حبنكة كلها نافعة، وفيها فوائد، وفيها تنوع وإثارة للعقل، كما فيها رصد للواقع، وهي من الكتب الضرورية لتشكيل عقل المسلم المعاصر لإحاطته بواقعه وما يدور حوله، وما دار في التاريخ القريب، والذي شكل واقعه الحالي، فرحمه الله وأجزل مثوبته، وجزاه الله عن أمة الإسلام خيراً.

الحديث عن اليهود ودورهم في الفساد يكتنفه حدان خطيران:

التعظيم الذي يصنع القنوط، ويؤدي ضرورة لتخيلات خارج السنن، وبالتالي يكون الوهم الذي إن وجد معطلاً للطاقات، بل ربما صار حال الواهم كاليزيدي الذي عبد الشيطان اتقاء شره، وهذا حدّ وقع فيه الكثيرون، خاصة من السياسيين في بلادنا حيث باعوا أنفسهم لهم، فاستسلموا وجلسوا عباداً لهم، يأتمون بأمرهم، ليقينهم أن بوابة حكمهم، ودوام سلطانهم متعلق برضا اليهود عنهم، فباعوا أنفسهم لشيطان اليهود.

وحدّ آخر: هو عدم النظر الصحيح لفساد اليهود في العالم، واتهام من يقول بهذا بالسذاجة والوهم وقصر النظر، رداً لما يسمى بالمؤامرة، والكثيرون يعلمون أن الاستهزاء بحقيقة المؤامرة أنه جزء من المؤامرة نفسها.

فهؤلاء يبرؤون اليهود من كل تهمة، ولا يرون علوهم المسيطر على أركان القوى في العالم، سواء من جهة سياسية أو مالية أو إعلامية، وما جرى على هذا المعنى.

ولذلك وجب النظر الصحيح القائم على البحث، والدليل الصحيح، ومما لا شك فيه أن محاولة حمير اليهود ومطاياهم دفع التهمة عن فساد اليهود للعالم هو نوع من أنواع الفساد الذي يمارسه اليهود وأتباعهم.

عند اليهود قضيتان متعارضتان، إن فهمهما المرء استطاع تفسير الكثير من ممارساتهم ومقدار علوهم العجيب، فالمسألة ليست عقليات عبقرية يختص بها هذا العرق البشري، ولا لذكاء خارق يمتازون به كما يحاول الجهلة من الأمة ترويجه، آخذين إياه من دوائر الدعاية اليهودية في العالم:

القضية الأولى: عقيدة متحكمة في نفوسهم، تصنعها التوراة، ويتربى عليها الأطفال من خلال حكايا الليل والمدارس وأساطير الأجداد؛ هذه العقيدة: إنهم شعب الله المختار، والبشر جوييم (بهائم) خلقوا لخدمتهم، وأن الأرض يجب أن تكون تحت سيطرتهم.

القضية الثانية: هي واقعية هذا العرق وأتباع هذا الدين وهو حجر العثرة أمام هذه العقيدة المتكبرة المغرورة؛ وهي قلة هذا الشعب من جهة أفراده، مع التقاء هذه القلة مع عقلية حب الحياة الدنيا والتعلق بها.

الحد الأول اندفاعي، والحد الثاني انسحابي، فكيف يتوافقان معاً في مسار واحد؟.

خلال الزمن الطويل من هذه الثنائية المتعارضة نتج فقه الجاسوسية اليهودي، وهو القائم على اتخاذ الشعوب مطايا لتنفيذ معتقداتهم، أي: نصر يحققه الخصم من خلال عقيدة الخصم نفسه، وهذه هي قمة الجاسوسية.

وأنت تستطيع تحت هذا الباب أن تضع كل الإنتاج اليهودي هنا، وتحت هذا المخرج من التعارض والتصادم.

فتحتها تجد التحالف مع الأقوياء، وتحتها تجد أهمية إفساد الشعوب، وتحتها تجد تدمير الأديان لتتوافق مع عقيدة اليهود التنبؤية لا التصورية، وهذه بنفسها تحتاج لشرح طويل، وشرح دلائلها التاريخية والمعاصرة، وهكذا صارت السرية تشكل عقل اليهودي، ذلك لأن دينهم ليس تبشيريا كالإسلام مثلاً، فالمسلم ما أن يعتقد اعتقاداً حتى تجده فزعاً لنشره، ولذلك لا تجده يحسن السرية كما يحسنها اليهودي،

والذي عاش تحت عقدة التعظيم للذات، مع مص دماء الشعوب، والذي ينتج بغضاً دموياً من قبل الشعوب ضدهم، وبالتالي يهرب للسرية والإخفاء، ولذلك لا يوجد أحد من غير اليهود، وإلى يومنا هذا، قرأ التلمود واطلع عليه تاماً.

هذا الكلام صغير جداً، بل هو قطر ماء مما يجب أن يعرف عن فساد اليهود في الحياة، تاريخياً ومعاصرة.

هذا الكتاب يشرح نماذج مختارة من مكايد اليهود ضد العالم، وضد غيرهم، قديماً وحديثاً، وهو ضرورة لكل شاب لم يقرأ تاريخ خصومه جيداً، وهو كذلك يعيد وضع العقل المسلم في إطاره الصحيح ضد اليهود، وذلك في زمن يحاول الكل تبرئة اليهود من جرائمهم الكبرى.

هذا وقد صاروا أصحاب البيت، ويستقبلون كراماً في بلاد المسلمين، ويحمون من الكل، والكل يسعى لطلب رضاهم، ذلك لسلطانهم من علو الفساد في الأرض، والتخفي تحت شعارات الديمقراطية والتي أوصلتهم إلى أعلى المناصب، وجعلت مقادير الشعوب بيدهم.

ما زال اليهودي هو هو، كما وصفه القرآن، وكما هو في ذاكرة الشعوب، كما حكى عنه شكسبير في "تاجر البندقية"، وكما حكت عنه جدتك، فلا تنسى هذا، وإياك أن تسرق منك معالم استقلالك، ولا بقايا عقل نقاتل فيه لنحيا سعداء، بل بشر، وليس حميراً لتمتطى من أجل قضاء حوائج أعدائنا.

بقيت كلمة، وهي مهمة جداً: هناك بعض اليهود في العالم قرؤوا تاريخ أبناء جلدتهم ودينهم، فاكتشفوا أن هذا الطريق يوصل لتنفيذ الكثير مما يريده اليهود من خصومهم، ولكن النهاية بالنسبة لليهود مأساوية، وفي كل تجربة تنتهي القصة بمحرقة ضد اليهود، وأن نهايتهم حين تكتشف الشعوب حقيقتهم دموية حمراء قانية، فهم يدعونهم بأن لا يغرهم الواقع بما حققوا من إنجازات، ولعمر الله إن هؤلاء نصحة صدق لهم، ولذلك ستكون العاقبة فيهم قريباً كعاقبة إخوانهم من بني قريظة، وسيذهب معهم للجحيم أبو رغال، وهو من قال الله عنه: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**).

والله يحكم ولا معقب لحكمه..

والحمد لله رب العالمين.

كليمة في كتاب (٤٨)

الاستثنائية الإسلامية "كيف يعيد الصراع حول الإسلام تشكيل العالم؟"

شادي حميد

[٢١ ديسمبر ٢٠١٨ – ١٣ ربيع الثاني ١٤٤٠]

دائما يشكو المرء الباحث من التنميط، ووضعه في قوالب جاهزة، وقديمة، ولكن هذا لا مفر منه حين يتم التبويب الكلي للأفكار، والباحثون يحبون لمحة الخصوصية الغائرة في ثنايا الفكرة، حتى لو بدت في ظاهرها قديمة الأصل، لكن عشقهم للتميز يدفعهم إلى رجاء القارئ أني هنا لأعلل تعليلات خاصة بي، وأدرس ما استقر ظاهراً بباطن مختلف عما يقوله القدماء.

قبل كل شيء أعجبتني كلمة المقدم لهذا الكتاب، أقصد كلمة الدكتور مشاري حمد الرويح، وذلك أنها صنعت شيئا من الضجيج لجذب أنظار الناس أن هذا كتاب مهم، بل يصلح أن يكون هرما! رابعاً مع كتاب فريدمان "سيارة اللكزس وشجرة الزيتون"، وكتاب فوكوياما "نهاية التاريخ"، وكتاب هنتغتون "صراع الحضارات"؛ وللدكتور الحق أن يقول هذا، لكن الدكتور يعلم أن سبب شهرة هذه الكتب ليس لأنها تعالج علاقة الإسلام بالعالم، بل لأنها تصنع رؤى توراتية دموية بين عالم الغرب والمسلمين، ولأنها صريحة في كشف نوع هذه العلاقة، وأنها دموية، ومنتهية بتنبؤاتها أننا تبع وعبيد لهذه الحضارة الغالبة في الغرب، وخصوصاً أمريكا.

ما علينا، ويكفي أن أقول: أعجبت بالمقدمة، حتى ظننتها جزءاً عضويا من الكتاب، ولأنها أعطتني التعامل معه من خلال التنميط والقولبة، وهو شيء مشكور.

العنوان يوحي بشيء من الحياء أن المطلوب لحصول علاقة قادمة ومتناسقة، بل وعضوية بين الإسلام والعالم هو قبول الإسلام، كقدر لا انفكاك منه، ولأن هذا الجزء من العالم محكوم بقيم الإسلام وشعاره، ولكن الكتاب في سياقه الكلي يجري حول صيغة الإسلام التي تصلح لقبول العالم له، ولهذا هو –أي

هذا الكتاب–، شاء صاحبه أم أبى، صرخة جديدة لتجديد الإسلام في رؤاه الكلية ليأخذ الرخصة كجزء من منظومة العالم الحالية.

الموضوع في هذا الكتاب ليس بحثاً في طريقة التحويل، بل هو دخول في عملية التغيير، وهذا تجاوز لقضية فهم الإسلام نفسه، ووجود من أدخل الإسلام في جوف الحداثة، أو وجود من جعل الإسلام نفسه ليبرالياً لا يحل المشكلة نا، حتى لو كانت على مستوى العقل فقط، فكيف لو دخلنا فيما هو عملي.

قبول الصياغة القومية للدولة، وتجاوز صيغ الدولة وهياكلها، بل وفلسفتها الداخلية هو المشكلة، ولأن الخلاف بين الإسلام وبين هذه المكونات، وهو خلاف جذري عميق، لا يمكن أن نصنع إسلاماً يوافق هذه الصيغ الجاهزة الموجودة في عالمنا.

هذه التجارب العملية المطروحة على الساحة، من داعش حتى حزب النهضة التونسي، لا تمثل نهاية العلاقة مع العالم، وليست هي الصيغ التي يمكن تكييفها أو تعديلها لتصنع قبولاً من عالم الجاهلية المعاصر، لأن الخلاف عميق وجذري، وهذا ما تجاوزه الباحث، وكأنه يتعامل مع مركز بحثي، يهمه أن يتحدث عن خطوات دمج الإسلاميين في خطوط صياغة العالم فقط.

هذا الكتاب في نهجه عندي أشبه بنهج مراكز التوبة التي تنشئها النظم لتغيير عقائد السجناء، وتأهيلهم للخروج من دائرة التطرف، فحتى لو وقع أن تاب هؤلاء فصنعة بدائل لهم أكبر بكثير من خروجهم بسبب ظروف السجن والإكراه، لأن العالم في صياغة، والدولة العربية ومثيلاتها اليوم هي رافد تكوين بدائل أخطر وأقوى وأصلب.

وما يطرحه الكاتب من مطالب يحصل بها تشكيل إسلام جديد، ليحصل تشكيل عالم جديد؛ غير سديد في واقعيته، ومحاط بنفي التاريخ، وكذلك المستقبل، فالعلاقة مصنوعة بالدم تاريخيا، ومعاصرة، والمشكلة تتعلق بالوجود والثروة وفلسطين واليهود، وليست في أفقها التشريعي والفلسفي.

من هنا، فأنا معجب بالكتب التي ذكرها الدكتور المقدم، لأنها تتكلم عن الواقع، حتى لو تخلى أصحابها عن النبوءة التوراتية الوارثة للأمم، لكنها أبقت صورة حروب العهد القديم حاضرة في الأذهان،

والكتاب يذهب عن هذا كله، فلسنا فلاسفة تنظير لتحل المشاكل فكرياً، بل نحن نتحدث عن عالم يمشي الفيلسوف وراء السياسي وصانع اللكزس والصاروخ والدبابة ليحمل له أوساخه.

هي كليمة: كتاب ممتع للقراءة، وهادئ، لكنه خادع في تصوير حقيقة الصراع بيننا وبين العالم.

كليمة في كتاب (٤٩)

حكم الإسلام في الاشتراكية

الشيخ الشهيد عبد العزيز البدري

[١٣ يناير ٢٠١٩ – ٧ جمادى الأولى ١٤٤٠]

الشيخ عبد العزيز البدري نسمة سلف صادقة، هبت من تاريخنا لتكون في زمان معاصر.

قال الحق، وعمل به، وجاهد من أجله، ثم ختم له بكرامة الشهادة في سبيل الله تعالى في سجون حزب البعث العراقي، يوم أن كان أحمد حسن البكر رئيساً، وصدام له سلطة القتل وسفك الدماء ضد من يعارض دينهم البعثي، وسلطانهم الطاغوتي.

هذا الرجل العظيم لم يأخذ حقه من التنويه والنشر والتعريف، والقليل من الناس حتى الشباب المسلم من يعرفه، أو يعرف سيرته، وهو الشيخ الذي عرف من خلال كتابه "الإسلام بين العلماء والحكام"، وفيه سير العلماء في قول الحق والصبر على البلاء، وسنة الامتحان والصبر؛ ومع ذلك لم يشتهر هذا الكتاب كغيره.

وأنا أعتقد أن عدم شهرة الرجل إنما هو لأسباب تتعلق بعدم اعتناء التنظيمات له؛ ودور التنظيمات مرافعة للرجل، ومبرزة له لا ينكر ولا يجادل فيه، والرجل لم يكن من ذلك التنظيم الذي يشهر كتب رجاله، ويعرف حتى ما ليس من العلم في شيء.

ثم إن ضعف الأمة في اعتنائها بعلمائها خارج المراكز المشهورة تصنع هذا التغييب، وهذا لا يجوز لطالب العلم، ولا للداعي إلى الله تعالى.

هذا الكتاب لعدم شهرته سبب آخر غير ما تقدم؛ وهو أنه رد على الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى على كتابه "اشتراكية الإسلام"، والدكتور السباعي رجل دعوة عظيم، لكن كونه

المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا يمنع الناس من نشر كتب مخالفيه والرادين عليه، وهو سبب يمكن إضافته لما تقدم من أسباب.

هذا الكتاب -كما تقدم- رد على كتاب الدكتور السباعي "اشتراكية الإسلام"، وفيه بيان مخالفة الإسلام للاشتراكية من كل جانب، وربط الجوانب الشرعية بالجانب العقدي، وقد قدم للكتاب شيخ العراق وعلامته أمجد الزهاوي رحمه الله، وذلك ببيان كفر من آمن بالاشتراكية، وضلال من ظن جواز استخدام هذا اللفظ، أي كون الإسلام فيه اشتراكية، تجعل استخدام هذا اللفظ جائزا.

وطريقة السباعي هي طريقة قديمة، معلنة في كتاب ابن رشد "فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال"، وهو منهج مرفوض من كبار الأئمة والمحققين؛ فعندهم أن دين الإسلام نسيج رباني، فروعه مستمدة من تصوراته الإيمانية، وتجزئة هذه الفروع بهذه المقارنة إفساد للدين، ولحقيقة هذه الفروع، بل في النهاية غزو الجاهلية للدين، وحالة وسطية تنتهي بإلغاء الدين كله.

مما لا شك فيه أن طريقة السباعي سيئة في أسبابها، فهي لم تقم إلا استجابة لضغط الجاهلية، وكأن هذه النظم الجاهلية تحمل دلالات مدحية، فنحن نركض لهذا الجمال الجاهلي لنجعل أنفسنا حاملين له، متزيين بصبغته، وهذا مما لا شك فيه حالة تنزل بدرجات خطيرة عن شعور المؤمن بعزته، وعظمة ما عنده، وأن دين الله أعظم من كل هذه الخيالات الذهنية الزائفة، فحين تنتشر مدائح النظم الجاهلية، وحين يقال في الناس عنها: هذا هو الحق، يسارع أمثال الشيخ السباعي رحمه الله بالقول: وهذا كذلك عندنا!!

الإسلام صبغة الله، وهي صبغة وإن التقت ببعض معانيها العظمى مع غيرها، ولكن خصوصية الصبغة التامة لهذا الدين تمنع إنزال هذا الفرع ليعادل الفرع عند الآخرين، وهذا قد أتى عليه كتاب الشهيد البدري بجلاء ووضوح.

أرجو من عنده علم بردة الفعل عند الدكتور السباعي على كتاب الشهيد الزهاوي أن يذكرها، فلست أستحضر شيئا من هذا الأمر.

لا شك أن الدكتور السباعي كان صوتاً مجلجاً في الذب عن السنة، كما في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع"، فهو أول من رد على المستشرقين في بابه، وكانت حياته جهاداً عظيما، انتهى به قراع المجرمين مشلولاً، وذلك لأن الرجل كان صاحب عزة نفس، وأوذي إيذاءً شديداً، فصبر، ثم قتله الصبر حتى شل، وكان في شلله كما يذكر العارفون نموذج الصبر حين هجره تلاميذ الأمس، وأصدقاء الحزب والطريق.

أقول هذا حتى لا يقع نقد العلم على معنى إسقاط الرجل، فهذا زمن العجائب.

كتاب "حكم الإسلام في الاشتراكية" نموذج التعامل الفقهي الأصولي مع هذا الاختراق الذي حمله كتاب الدكتور السباعي، والدكتور السباعي لم يزور فروع الشرع لتتلاءم مع الاشتراكية كما يفعل بعض الشيوخ والمفكرين، فيسلخون باطن الإسلام ليحشوه بقيم الجاهلية، ارتماءً في حضن الفساد والضلال، لكن حاول بيان التقاء فروع الإسلام مع فروع النظام الاشتراكي، فبهذا الفعل لم يصب، وأتى بعظيم من القول والفعل، فكيف بمن زور الدين وأبطل أحكامه لتلائم مراد الضلال، ورحم الله سيد قطب حين سمى فعل هؤلاء "إسلام أمريكاني."

رحم الله الشهيد عبد العزيز البدري، ورفع درجته في الصالحين، وسيكون لي كلام عن كتابه "الإسلام بين العلماء والحكام" في سلسلة (ألف كتاب قبل الممات)، والله الموفق.

كليمة في كتاب (٥٠)

عماد عقل: أسطورة الجهاد والمقاومة

غسان دوعر

[١٤ يناير ٢٠١٩ – ٨ جمادى الأولى ١٤٤٠]

من أعظم ما يقوي ثقتك بالله وحسن تعبدك له، وتقوية مواصلتك طريق الثبات والصبر والتحمل هو قراءتك لسير الرجال العظماء الذين مضوا على هذا الطريق؛ فتاريخ الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى موصول لا ينقطع، يختار الله له رجاله من طين الأرض ومن قاموس الأمة ومن رحم النساء الطاهرات، فيرقى بهم العز والرجولة صعداً لمدارك الشهادة والثبات، حتى يتحول طين الأرض إلى رمز يحدو للسائرين فلا يكلوا.

وما أحسن أن تفتتح يومك بقراءة سير الرجال وتاريخهم، وهم منك وأنت منهم، فهم بشر لهم معاني الإنسان في أفقه العظيم.

هذا كتاب لا يزيد أن يكون كلمة تسمعها ثم تمضي، فلا يهمك ما يقال بعد استشهاده مما يضخم الكتاب، بل لا يهمك تلك الوصفات الكلامية التي تصاحب الحدث كأنها موسيقى تصويرية يحاول الكاتب فيها أن يؤثر فيك فوق ما يؤثر فيك الخبر وكلماته المجردة.

لا أحب في قراءة سير الرجال إلا الخبر والوصف والكلمة كما هي، بلا زيادات الكاتبين وتشقيقاتهم، لتمضي مع الصدق فقط، وكان من الأحرى أن يفعل الكاتب هذا مع رجل وشاب عظيم كعماد عقل، وهو بفعله فقط، وبإرادته فقط، يستطيع أن يأسرك، وأن يحدث فيك تصميم السير على الطريق.

أجمل ما في هذا الرجل الشاب، عماد عقل، أنه صنع الكثير من لا شيء، وعاش قدره بلا أحلام خيالية، ونثر على هذا كله مقصداً واحداً هو الشهادة، فصنع عظيماً، واستحق الرفعة والشهادة بإذن الله.

سيرة أمثال عماد عقل بواقعيتها من غير تزييف، ومن غير أحلام، تعطي شباب الإسلام القوة وحسن القصد أن يسيروا معه، وأن ينسجوا على منواله، فيتحقق لهم رضوان الله، والدخول في سلسة الشهادة التي لا تنقطع، لأنها وقود الرجال والقلوب والإرادات.

حين تقرأ سيرة هذا الشهيد العظيم تشعر بحب لكل أولئك الشباب الذين تمر بهم، بلحاهم السوداء الزغب، فتعرف أن هذه أمة لا تموت، وأن أرحام أمهاتنا لن تعقم، وأنه بقليل من التربية الإيمانية في درب الجهاد –والجهاد وحده– يتحول هذا الشاب إلى مشروع شهيد، يؤدي دوره في هذه الحياة بأكمل وأجمل ما يكون.

ما نراه اليوم من سقوط الشباب المتدين في مصائد شيوخ الدجل والكذب.. سببه الوحيد أن درب هؤلاء الشيوخ يضعك في موطن ما تأخذ لا ما تعطي، ودرب المتاجرين بالدين، ودرب الكلمات الجميلة عن سلف عظيم مع شهوات الدنيا وترفها ولذائذها، فتنشأ هذه المسوخ الضائعة، أو انصراف هذا الشباب لدروب الشهوة لأنها هي وحدها ما فتحت له، والشاب هو الشاب، فيه عاطفة مستعرة، وشوق عارم، وإرادات لا تضبط في الكثير من صورها، فينشأ شاب يتسقط الدنيا بالدين، أو شاب يعيش شهوته، ولو ربي هؤلاء الشباب في درب الجهاد، وحب الشهادة لصنعوا التاريخ الذي يصلهم بتاريخ أجدادهم، ولذلك من الواجب بث صور وتاريخ وسيرة أمثال هؤلاء المجتبين الأخيار، من ترفع عن كل هذا، ولم يفهم الدين إلا عطاءً، وبذلاً، وقضية، وتوحيداً لله، ورغبة في تحصيل الشهادة.

المسافة قصيرة بين انتقال المرء من المعصية إلى الولاية شرط الولوج في درب الجهاد وسبيل الشهداء، والذين يحاولون تمطيطها، وتطويلها، بل بث اليأس من بلوغها، هم من يرميك في حضن الكسل، والدنيا، والشهوة.. كما يصنع أولئك الذين يسبون الشهادة وسبيلها؛ فتنشأ هذه المسوخ المتدينة، بلا عقل، ولا إرادة، ولا طاعة، ولا بذل، بل هي طويلة اللسان عقيمة البواعث الإيمانية.

رفعة الجيل الأول، والذي هو سبيل أمثال هؤلاء الشباب كعماد عقل، إنما يقع بهذا الطريق، وهو طريق الجهاد، والبذل، ورغبة تحصيل الدار الآخرة.

في ختام كل سوق لا يربح إلا هؤلاء، ولا يصيب أعظم الغنائم إلا الشهداء، وفي حسابات الخاسرين أن هؤلاء وقود غيرهم لتحصيل المناصب! فيا لهم من مساكين بذلوا أرباحهم لمناصب وغنى غيرهم!،

وهذا إنما يقال في غير سبيل الله، وفي غير درب الشهادة، وفي غير باب التجارة مع الله تعالى، فأعظم الرابحين هم الشهداء، وأعظم الخاسرين من نال بعد عز الجهاد دنيا رضي بها، وجلس على مزبلتها يقتات من زقومها، ويستروح أخبث ما فيها.

اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، وألحقنا بأعظم من اخترتهم في هذا الدنيا ليكونوا لبنات العز لأمتهم ولدينهم.

رحم الله الشهيد عماد عقل، وجزى الله كاتب الكتاب لحفظ سيرة الرجال.

فهرست المقالات